

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

العدد الأول

يونيو سنة ١٩٥٢

المجلد الثالث

محتويات هذا العدد

الصفحة

الدكتور زيد احمد ١١٠

١٠ إلى الأدب العربي

↑
الموضوع

ما برحت • الهند

إلى الأدب العربي

بقلم الدكتور زيد أحمد تعريب عبد الحميد النعماني

بما لا شك فيه أن الهند بدأت تستجلب الاكتتابات الخطيرة من عندها والتبرعات القيمة إلى الأدب العربي منذ القرن العاشر من الميلاد حينما كان الحكم للغزنويين، ولكن عهدا بالعطايا يرجع إلى ما قبل الحكم الغزنوي، حيث أهدت إلى الأدب العربي من مفردات اللغة معجما، ومن فرادى الكلمات مجموعة تستحق الذكر والاعتبار مهما كان من الأمر طفيفا تقيا، ولا بد قبل البسط في الكلام عنها والاضاح عن الاحصاء والاستقصاء لها من تعرض لعلاقات بين الأرضين: الهند والعرب قبل الحكم الغزنوي.

﴿ ما وراء التاريخ ﴾

تذكر الأقاصيص والأساطير منذ عهد قديم أيام، لم يكن فيها للتاريخ عهد ولا كتاب من صلات بين القطرين، و« الأحاديث » و« الأخبار » الواردة من الرواة ترمي بالصرامة وتشهد على أسطورة أن أبانا أبناء البشر، آدم بعد ما خرج من الجنة استقر على قمة من جبل في جزيرة سيلون^١، سميت به بعد، فلما تاب الله عليه أتى به إلى عرفات على مقربة من مكة، حيث التقى الحواء المخرجة من الجنة الملقاة إلى جده. ليست الأسطورة هذه برواية دينية فحسب ولا هي تختص بالديانة الإسلامية فقط، ولكنها توجد كذلك في أسفار التاريخ ومؤلفات الجغرافية. فـ « قتيبة » و« المقدسي » و« الباقوت الحموي »^٢ كلهم يتحدثون عنها في مصنفاتهم ويذكرون

١- التاريخ الطبري، الجزء الأول، صفحة ١١٩. التفسير الطبري، السورة ١: ٢٨.

٢- المؤلف لابن قتيبة، صفحة ٩.

والمرويات تختلف فيما بينها في تعيين أرض مات بها آدم. فرواية أو روايتان
رحان أنه مات بسيلون^١.

وفي الروايات أنه أكثر من سفره إلى مكة حاجا لا أقل من أربعين مرة في
أته وقد عاد كل مرة إلى سيلون^٢.

وكذلك تؤكد الروايات أن الحجر الأسود الموضوع في ركن الكعبة منزل
الجنة مع آدم وكان ناصعا متلألا كالياقوت الأحمر، فجاء به إلى مكة عند
أمر الله أن يبنى البيت^٣.

وفي رواية أن أرض الهند هي التي كانت مسرحا لما جرى بين هابيل وقايل^٤.
هذه الأساطير وهذه المرويات، وهي في غاية الصراحة، تقضى أن الهند والعرب
الطت وتواصلت منذ ما بدأ البشر يعمرون الأرض واتخذوا من بقاعها
قسمهم مساكن ومواطن.

﴿ العلاقات التجارية ﴾

إن العلاقات السياسية، وإن قامت واستقامت بين الهند والعرب في أواخر
قرن السابع بعد الميلاد، ولكن الاتصال بين القطرين فيعود عهده إلى القرن
سابع قبل الميلاد من طريق التجارة، ولعله فوق ذلك يرجع إلى زمان قبل
زمان التاريخ^٥، على أن القطرين يختلفان فصيلة ويتباينان لغة اختلافا كليا
تباينا نهائيا.

١ - سيرة المرجان، لعلام على آزاد، طبع بمبائي، الجزء الأول.
٢ - أيضا.
٣ - أيضا.
٤ - أيضا.

إن القطر العربى فيما غير من الزمان كان عمرا لطريقين من الطرقات الثلاثة للتجارة بين الهند والبلاد الغربية. فالطريق الأول، وكان مبدئه من نهر السند. مصه ينتهى إلى شاطئ الفرات حيث يتصل بفروع من السبل الممتدة إلى ماء الانطاكية وميناء الشرق الأدنى. وكان لهذا الطريق أكبر اعتبار وأعظم شأن فى حركات الحمل والنقل لدى الدولة البابلية فى أيامها الذهبية، ثم خرب وانقرض بانقراض الدولة وعاد لا يذكر.

والطريق الثانى وهو يسبق الأول شانا وخطورة، عظمة واعتبارا بالحركات التجارية. يتبدأ من ساحل الهند وينتهى إلى سواحل اليمن وحضرموت، ثم يتوجه نحو سوريا عابرا بحاجبه البحر الأحمر حتى يصل إلى أوربا، إما رأسا من ساحل سوريا وإما من طريق مصر والاسكندرية. وكان هذا الطريق فى غاية من الأهمية، وإليه يرجع الفضل الأكبر للجنوب الغربى من القطر العربى حيث كان أهاليه فى رغد من العيش ورخاء متمتعين بهناء الحياة ولذاتها، وما افلك بعد شارعا تجاريا كبيرا إلى أن تم على يد البطالسة تمهيد طريق برى وتمديده بين الهند والاسكندرية.

وقد أشار القرآن إلى هذا الطريق الممتد بين سوريا واليمن والعابر أرض الحجاز معتبرا عنه به الامام المبين^٢ أى طريق واضح. وذلك ما يراه المفسرون عامة فيعتون به الطريق الواقع بين سوريا واليمن. وآية أخرى كذلك ترى فى الرخاء والبسر المتفجر من هذا الطريق وتشهد بقوافل تجارية من «سبا» وهى: «وجعلنا بينهم وبين القرى التى لركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليلى وأياما آمنين، (سبا)».

فسر الامام الطبرى^١ قرى ظاهرة بالقرى المتواصلة (المدن المتوالية) أى متصلة إحدئها بأخرئها. وهناك شهادة أخرى من القرآن ولو غير مباشرة تدل على تجارة تقوم بها قريش كما فى سورة الاللاف:

«لااللاف قريش إلالافهم رحلة الشتاء والصيف».

فمعنى رحلات الشتاء ورحلات الصيف تلك الرحلات التى كانت تقوم بها قريش على الشارع الكبير الذى عبء عنه القرآن بـ «الامام المبين»^٢.

من الحق أن العرب كانوا على علم بسيلون منذ أمد بعيد، وأن تجارة اللؤلؤ وتجارة الاحجار الكريمة قادتهم إلى تلك الديار النائية عنهم وقد شيد منهم التاجرون مؤسسات تجارية قبل الاسلام بثلاثة قرون^٣. متى دخل المسلمون الجزيرة وأنئ تيسر لهم الوصول إليها؟ إقتراح ليس له جواب، والذى يظهر مما يحدث البلاذرى أن بعض التاجرين من المسلمين كانوا فى سيلون منذ سنوات طوال قبل أن يقوم محمد بن القاسم على وجه السند مهاجما. وكان هذا الهجوم على ما يرى البلاذرى ثأرا بلصوص البحر من دؤبل ونقمة من نهب القرصان سفينة أرسلها حاكم سيلون وهى ملاآة من يتامى المسلمين^٤.

وكفى بالقول صراحة، نظرا إلى الاتصال السياسى بين الهند والعرب، أن الهند مست بأرضها أقدام الغزاة من العرب أول مرة أيام الخليفة الثانئ (٦٤٤-٦٣٤/٢٣-١٣)، وأن الغزوات العربية لم تطرق إلى داخل البلاد ولم تتوغل فيها حتى عهد الوليد، فقد خضع فى أيامه ملتان وبلاد السند لمحمد بن القاسم

(٧١٥-٧٠٥/٩٦-٨٦).

١- تفسير الطبرى، الجزء ٢٢، الصفحة ٥٨.

٢- تفسير الطبرى، الجزء ٣٠، الصفحة ١٩٧.

٣- Eueyclopaedia of Islam.

٤- فتح البلدان، الصفحة ٤٣٥.

﴿ عطايا الهند للأدب العربي ﴾

كل ما ذكر من شؤون الاتصال وأحوال الصلات بين الهند والعرب فيما مضى قبل العهد الغزنوي جمل تخطيط اكتتابات الهند في تلك الأوان وتصميم تبرعاتها إلى الأدب العربي هين الدرك وميسور المنال كما يأتي.

١- إن رواية هبوط آدم إلى قمة جبل سرانديپ نفسها هي نوع من الاكتتاب. ولما استوطن المسلمون أرض سيلون وتبين لهم ما هنالك من التقاليد المحلية المنوطة منخفض القمة فكانهم أرادوا أن يجعلوا من تلك التقاليد ما تلائم معتقدات أنفسهم.

٢- إن المواصلات التجارية بين هذين القطرين قد عرفت اللغة العربية بعدد وفير من الكلمات الهندية وأهدته إليها، ولما كانت من صادرات الهند وسلعها إلى البلاد العربية، العطورات، والأقشة، والتوابل وأشياء أخرى غيرها، لجأ العرب بالطبع إلى أن يستعبروا لتلك الأشياء كلمات من اللغة الهندية. فمن أمثالها: صندل، مسك، كافور، قرنفل، فلفل، هيل، زنجبيل، جائقل، نارجيل، موز، لين، تنول وغيرها من الكلمات التي عربوها. وفي بعض الأحوال ألحقوا كلمة «هندي» أعقاب الكلمات العربية، كعود هندي، وقسط هندي، وتمر هندي، والكلمة الأخيرة صارت تمرند في اللغة الانكليزية.

إن الأقشة الهندية كانت تصدر إلى اليمن ومن طريقه إلى الحجاز، فكلية شاش للقماش القطني الرفيع (Muslin)، وكلية شيت للنسيج القطني المرسوء (Calico)، وكلية فوطه للقماش المخطط (Striped Cloth)، كلها كلمات عربية من جنس المذكور.

إن الملاحه العربيه على ساحل الهند أدخلت ستة كلمات كانت هندية الأص.

١- تاج المروس: مادة «نوطه»، وأرض القرآن لمولانا السيد سليمان الندوي، باب الحادي عشر في اللغة العربيه.

إلى الكتب العربية من الرحلة والجغرافية، فكلمة بارجة التي جمعها بواريج ومعناها
نصوص البحر معربة عن الكلمة الهندية «بيراء»، وكذلك كلمة دونيج التي جمعها
دوانيج ومعناها السفينة الصغيرة عربوها عن الكلمة الهندية «ڈونگی»^١.

ويقول جرجي زيدان العالم العصري المصري الشهير أنه يظهر كأن كلمات
الصبح، والضوء، والبهاء، سنسكريتية الأصل، فإنها تخلو عن أخوات اللغة العربية
ولا توجد فيها^٢.

وإن كلمة طوبى التي وردت في القرآن هي اسم للجنة في بعض لغات الهند
عند البعض من علماء العربية^٣.

وللصارم الهندي شان كبير لدى الناطقين بالضاد، فهم يعبرون عنه بالهند
والهندواني والهندي، وهي الكلمات التي أكثر ما نقرأها في الأدب العربي. وأما
«الهندي» فقد بلغت الكلمة بهم مبلغ السحر والافتتان وأنهم كانوا يسمون بها
نسائهم تسمية الحب والغرام.

٣- وإن الرقوم أي الأعداد في اللغة العربية لفضل من الهند عظيم ومته لها
كبرى على الأدب العربي، والأدب العربي ما زال شاكرًا لها ذاكرًا صنيعتها باسم
الرقوم الهندية إلى يومنا هذا. كانت الأمة العربية تخط الأعداد بالأحرف بدل
الرقوم في كتاباتها حتى القرن الثامن من الميلاد، إلى أن عم البلاد العربية هذا
النمط الهندي (للرقوم) ولعله انتشر بين القطر العربي عندما تقدم مفوض هندي
بجدول فلكي مختص بعلم الهيئة في بغداد أيام ٧٧٣. وقد أوضح العالم الكبير

١- انظر كتاب الهند لليروني، صفحة ١٠٢. وعجائب الهند، طبع باريس، صفحة ١١٤. لكلمة «بارجة»
والجزء السابع من معجم البلدان للحموي، لغيرها من الكلمات تحت كلمة «كيس». والكلمة الأربعة البقية في
كتاب «عرب و هند» تعليقات، لمولانا السيد سليمان الندوي، صفحة ٦٣.

٢- آداب اللغة العربية. لجرجي زيدان، الجزء الأول، صفحة ٤١.

٣- قاموس وتاج العروس: مادة «طوبى».

محمد بن موسى الخوارزمي مسألة الأعداد في اللغة العربية أوائل القرن التاسع. فجرت الرقوم منذ ذاك العهد، وسرت متباينة الخطوات في فاتحة الأمر متناقلة الأقدام. ثم نشطت حتى عمت العالم العربي من أدناه إلى أقصاه.

شهد البيروني بالحق واعترف أن النمط الاسلامي للرقوم مأخوذ من أبداع أساليب الهند ولا ريب أنه انتقل من القطر العربي إلى أوربا التي زعمت أنها رقوم عربية.

٤ - ومن تبرعات الهند إلى الأدب العربي أدوات علم الهيئة ومعداته. من الحق كان للعرب أنفسهم علم في الهيئة والفلكيات مختص بهم ولعلمهم أخذوه عن الكلدانيين، ولكن ليس منا من يأتى تأثير الحضارة الهندية ومدى نفوذها على مدينة العرب أيام القرن الثاني من الهجرة، وكانت الخلافة العباسية يومئذ في أقصى الكمال من التقدم والارتقاء، وقد بذلوا في تعريب المصنفات الأجنبية جهد المستطاع، واحتملوا في سيل الترجمة عناء فوق الاحتمال، فنقلوا كثيرا من كتب السنسكريتية إلى اللغة العربية، وكتاب «سندهند» أول كتاب من كتب الهيئة جلب العرب واجتذب من عواطفهم إليه. وقد سبق الفزارى (المتوفى ١٥٤/٧٧٠) إلى ترجمته. ثم نقله محمد بن موسى الخوارزمي المذكور إلى العربية. وانتهى الأمر إلى أن وضع البيروني عليه كتابا سماه به «جوامع الموجود لحواطر الهند في حساب التنجيم».

٥ - إن علم الطب كذلك سهم خطير غير منقوص من السهام المهمة من الهند للأدب العربي، والأستاذان الطيبان «چرك» و«شسرت» كما يصرح به الأدب

١ - Encyc. Brit. 11th edition. XIX, 867

٢ - كتاب الهند، البيروني، صفحة ٨٢.

٣ - Al - Biruni. Chronology of Ancient Nations by the editor, P. 370

السنسكريتي كانا شغلا مركزا عاليا وبلغا مبلغ المراجعة والاستناد في الطب^١. وقد نقلت كتب كليهما في أواخر القرن الثامن من الميلاد إلى اللغة العربية واستشهد بها الطبيب الشهير أبو بكر الرازي^٢ (المتوفى ٩٣٢/٣٢٠)، وقد ذكر ابن النديم عند تأليفه الفهرست^٣ خمسة عشر اسما لمن نقلت كتبهم إلى اللغة العربية من مصنفى الهند، ولم يبق لنا من هذه التراجم تعرف اليوم إلا كتابا وجيزا يبحث عن السموم، اسمه «شوق» وهو موجود في دار الكتب ببرلين^٤. وكما يستنبط من مقدمة الكتاب أنه ترجم أولا من أصله إلى الفارسية بقلم أبي حاتم البلخي للخالد البرمكي في ٨١٥/٢٠٠، ثم نقله عباس بن سعيد الجوهري إلى العربية (٨٢٥--٢١٠)، وقد ذكره الحاجي الخليفة تحت اسم «كتاب السموم»^٥. وأما أصل الكتاب فوجيز جدا لا يتجاوز أربع وثمانين صفحة موزعة على أربع مقالات. فالأولى منها وهي كالمقدمة للكتاب، يقول فيها المصنف، كيف أحدث الأطباء وكونوا من ضروب السموم القتالة وألوانها ليصونوا بها حياة الملوك المقدسة ويحفظوها؟ ويرى المصنف أن أمثال هذه السموم لم تكن تؤخذ إلا أن تأخذ منها الملوك. والمقالة الثانية تبحث عما تعرض وتطرا من العلامات تحت عوامل السموم ومؤثراتها على اختلاف أنواعها. والمقالة الثالثة ترسم لنا أعداد السموم القتالة وتدبيرها، مثلا خذ فرخا من أبابيل وحية سامة التهمت الفرخ واجعلها في نكة نحاسية مطبقة موصدة فأدفعها في مزبلة من سماء البقرة تحت كوم الروث لتفك ما في التكة بعد أيام معدودات وتنحل فتخمر وتثور، واترك المزيج حتى تجمد الشمس ناشفا ييبس، فأقل كمية منه يكفي للقضاء على من ذاقه حتما. والمقالة

١- Macdonnell's History of Sanskrit Literature, P 494

٢- أيضا. الصفحة ٤٢٧.

٣- ابن النديم، الصفحة ٢٧١.

٤- Berlin Catalogue, No 6411

٥- Khalifah, V, 96

الآخيرة فصل المعالجة والتدابير ضد السموم فتذكر المضادات والترياق. وقد وضع المصنف وصفة طيبة لترياق تكون لمعطائها مسيكا لا يؤثر فيه السم أثرا. ويظهر مما تحبه الناسخ على الصفحة النهائية من الكتاب أنه بناء على طلب الخليفة، حذف من الكتاب عملية في تزية البنت لو قام بها لمات المجامع بها على الفور، لما فيه من الوحش والبربرية، ولا ينكرما للكتاب من مزية الخطورة ومسحة الرغبة لما فيه من ضروب الأساليب وصنوف التدابير لإبادة الحياة الانسانية في غابر الزمان.

٦- كلية ودمنه وألف ليلة وليلة، كتابان قصصيان يملكان من الأدب السهل مركزا ومبلغا لم يبلغه أى كتاب، فالأول حكاية هندية عربية ابن المقفع أولا من الفارسية في القرن الثامن من الميلاد، والثاني فواضيع الكلام منه أكثرها هندية الاصل، وقد أورد ابن النديم أسماء لعدة كتب قصصية نقلت من السنسكريت إلى العربية^٢. فهذه الكتب كلها كالعطايا المكتوبة في سجل اكتسابات الهند للأدب العربي.

٧- ولعبة الشطرنج الممثلة دورا هاما في الأدب العربي كذلك هبة تذكر من الهند وتبرع يعتبر. فالمراجع كلها أكبرها وأوثقها أجمعت على أن الشطرنج كان في الهند قبل أن يلعب به في أى مكان غير الهند. والشطرنج كلمة أجنبية لدى الفرس والعرب ولكنها كما لا يخفى مشتقة من كلمة «چترنج» السنسكريتية اشتقاقا فطريا^٣. وما نبطت وتفرعت من الاستعارات والتشبيهات في الأدب العربي والفارسي من كلمة شطرنج ما يغنى عن أن يذكر.

٨- ولكن كتاب الهند للبيروني، وما يماثله من الكتب من مندرجات قائمة

(i) Encyc. of Islam, under Alf laylah wa laylah - ١

(ii) Professor Macdonald, J. R. A. S., 1924, 868

٢- ابن النديم، الصفحة ٢٠٥.

٣- Encyc. Brit., under "Chess"

٤- ولعل ذكر البيروني وما جادت به قريحته من العلم والأدب كتبرع من الهند إلى الأدب العربي قبل هذه الفترة خطأ في الترتيب التاريخي، ولكن لا بأس به كشهادة عامة في هذا الفصل إذا استثنينا البيروني كتاب الهند ومصنفها.

تبرعات من الهند، لا لأن الواضع من رجال السند كما ذهب إليه بعض البارعين لعروفين من كتاب العرب، بل لأن مواضع مصنفاته وموادها بجذافيرها مأخوذة قنطقة من الهند، وإن اسمه اتحد بالهند اتحاداً يصعب علينا أن نتفكر في ما كنزت ديار الهند من سبائك الأدب العربي مجردين عن فكرنا رسم البيروني عن ذاكرتنا اسمه، وأن السمعة والصيت التي يتمتع بها عالماً فلكياً متضلعا رياضياً إنما ترجع إلى ما استفاد وانتفع وما فحص ودرس من آداب علماء الهند كتبهم. وأنه بما له من المعرفة والاحاطة بعلوم الهند لا يستطيع أحد أن ينكر أياديه على علماء الهند ومعلميها، ودع عنك ما ناله من النصرة والتعزيد من أول سلطان الهند الإسلامية وابنه من اليسر والسهولة ومن قبل الحاشية الغزنوية.

١- كان أبو حفص ربيع بن صبيح أحد من تبع التابعين كما تقول به المصطلحات الإسلامية، أي رفيق الرفقاء لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. فأبو حفص هذا هو كما يشهد به أحد الاسناد أول مسلم وضع كتاباً، وكان من ثقات رواة الحديث، هاجر في أواخر أيام الحياة إلى السند وتوفي هناك (٧٧٦/١٦٠)٢. وقد ذكر غلام علي آزاد، ورحمان علي، ونواب صديق حسن خان فيما كتبوا عنه أنه أول مسلم من العلماء نزل الهند فاستوطنها٣.

وانقلبت بلاد السند كستعمرة عربية أيام القرن الثالث من الهجرة، وعمرتها من العرب من العشيرة غير واحدة فعسى أن ظل هؤلاء المهاجرون المتوطنون متمسكين بالعربية، كلقتهم الأمية إلى أمد بعيد وعسى أن نشأ فيهم الشعراء ولكن يا للأسف! لم يصل إلينا من حركاتهم الفكرية وفعاليتهم الذهنية لا خطيرة ولا حقيرة، لا من هؤلاء المتوطنين من العرب ولا من أولئك الأهالي الذين تعلموا لغة ولايتهم

١- الخليفة، الصفحة ٨٠.

٢- نسخة المرجان، لأزاد، الصفحة ٢٦.

٣- أيضاً، ٢٦. وتذكرة، لرحمان علي. وأجد العلوم، لصديق حسن خان.

بالطبع. ولا يذكر كتاب قروح البلدان، عن الموضوع حديثاً، ولا غيره من مثيلاته من الأسفار تحدث عنه ذكراً. ولكن الذى يخمن أن بعض القاطنين من مهاجرى العرب لم يفهم أبداً أن يقصروا دون وضع كتاب عربى. فالحاجى الخليفة يذكر كتاباً موسوماً بتاريخ السند من بين الكتب التاريخية التى صنفها المسلمون، ولكنه لا يذكر عن الواضع شيئاً ما^١. وعلى غالب الظن أنه وضعه أحد أعراب من السند، والذى صرح به مؤلف «ساس نامه» أن مأخذ تأليفه كان كتاباً عربياً فى التاريخ وضعه جد رجل التمس إليه ترجمة كتابه إلى اللغة الفارسية. ولعل هذا هو الكتاب الذى نوه عنه الحاجى باسم تاريخ السند. وليس لنا أن نحكم بشئ. بالقطع ما دام الأمر لا تؤيده شهادة قاطعة ولا يوثقه سند معتبر.

ارتحل من أهالى السند إلى البلاد العربية عدد غير قليل مثل ما هاجر إلى السند جمع من أبناء العرب، إما عبيداً وإما أحراراً، واتخذوها مقراً لهم وموطناً. ولا نعلم من أحوالهم إلا قليلاً. فالسمعانى لم يزد أن أتى باسمين تحت المنسوين إلى السند^٢، أبو معشر وأبو العطاء أفصح الشاعر السندى، فالأول كان محدثاً ومرجعاً للسيرة النبوية وكفى بسمو مركزه تقديراً أن الخليفة هارون الرشيد حضر بنفسه احتفال جنازته عندما توفى فشيّعها وصلى بالناس صلوة الجنازة. وسنأتى ببعض التفاصيل من ذكر أبى العطاء على موضوع اكتاب الهند إلى الشعر العربى والسمعانى يذكر أسماء آخر منسوبة كالمصورى والدوثبلى، واللاهورى، والهندى ويقول عنها إنها للعلماء والمحدثين، ورواة الحديث إلى من سواهم.

١- الخليفة، صفة ١٣٣.

٢- كتاب الأسباب، السمعاني، صفة ٣١٣.

ملحوظة: ذكر جرجى زبدان فى كتابه آداب اللغة العربية فى الجزء الثانى على صفة ٢٥١ اسم شعراى

سندى باسم خورشازم ويقول بالقطع أنه همدى الأصل ولكن يظهر أن ما ذهب إليه جرجى زبدان غير صحيح، طبقاً لما قال به السمعاني أن كلمة سندى نعت وكذلك اسم كخورشازم وراجا الهمدى المحدث

٣- أيضاً ٢٣٦، ٤٧٩، ٥٤٣، ٥٩٢.

وعندما نزل الهند أبو القاسم المقدسي زائرا في أواخر القرن العاشر، وجد عديدا من المحدثين في السند ولقى بهم واختص بالذكر منهم أبا محمد المنصوري^١ الذي كان محدثا ومصنفا لعدة كتب.

فهذه الأحاديث وهؤلاء المحدثون، الأهالي كانوا أم النازلون، وما رووا وما دونوا من كتب الحديث، إن كل ذلك إلا كأرل قسط من أقساط التبرعات من الهند إلى الأدب العربي.

أما أبو العطاء أفلح السندي الذي عرفناه آنفا مع أبي معشر المحدث فكان مولى لسي الأسد وكان شاعرا مجيدا، كفى باجادته تحسينا أن اختار أبو تمام الحبيب ثلاثة أبيات من أشعاره لديوانه «الحماسة» مقتسبا منها.

وقد أثر صاحب الأغاني^٢ فخصص من كتابه لذكره خمس صفحات، وهو من الشعراء الذين مدحوا بني أمية وقرضوا فيهم من القصائد والأشعار. وترعرع أبو العطاء وازدهر عندما ذبلت من بني أمية نضارتها، وذوى من دولتها مآها ومرعاها. فعاش بعد ما فقد من ناصريه الأمويين إلى أن أدرك من بني العباس خليفتي الأولين، وانتقل إلى رحمة الله أيام المنصور. ونهض أبو العطاء باذلا جهد المستطاع منشدا بكل حماسة وحمية قصائد يمدح فيها أوليائه الجدد، ولكنهم لم يرضوا بذلك عنه، لما أسلف منه من قريض مسرف مدح به أعدائهم الغابرين — اسمه أفلح وكنيته أبو العطاء. وكان في لسانه نوعا من العقدة لا تمكنه أن يلفظ ببعض الأحرف بمخارجها كالجيم والشين، وكانت أشعاره معجبة مستحسنة من الناس إلى أرقى درجات الإعجاب والاستحسان، ولكنه لم يكن لينشدها أمام

١- أحسن القاسم، المقدسي، ٤٧٩.
٢- كتاب الأغاني.

الناس لعقدة من لسانه . فاتفق له مرة أن فرح به رجل « سليمان ، فرحا
منحه مدفوعا به ولدا جميلا يدعى بالعطاء ، يسمع به أناشيده فاطمان الشاعر به
واستراح إليه وأصبح الولد خير ساعد لمسيساته ، فأعجبه وأحبه حتى اتخذه ابنا
له وتكنى به . وكان للناس في عقدة لسانه متعة يلذون لها ويبعثون بها ، ولكنه
كان دقيق الحس قوى الشعور ، فلم يكن يؤذن لأحد أن يلمس التلفظ بتلك
الكلمات المحددة . وأما مكيدة حماد الراوى الشهير التى تمكن بها على أن يتلفظ
أبو العطاء بما أبى أن يفوه بها فلا حاجة إلى ذكره .

فأشعار أبى العطاء أفلح السندى هى كذلك من التبرعات التى قدمتها الهند إلى
الأدب العربى قبل العهد الغزنوى .

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

العدد الثالث

ديسمبر سنة ١٩٥٢

لجلد الثالث

محتويات هذا العدد

الصفحة

٢٠ تعريب عبد الحميد النعماني إلى الأدب العربي - الدكتور زيد أحمد ...



الموضوع

إلى الأدب العربي

بقلم الدكتور زيد أحمد تعريب عبد الحميد النعماني

﴿ التفسير ﴾

كتب التفسير - ما برحت كتب التفسير طليعة الأدب الاسلامي ومنتزه الخطير ولا زالت العلماء من المسلمين يذلون جهوداً جبارة في سبيل الكثرة في التفسير كواجب ديني مقدس . والترتيب التاريخي يمثل عهد المفسرين حسب ما يلي

١ - عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين الذين فسروا آيات القرآن شفاهاً ، ولم يخط أحد ما فسروا به . يكتبه كاتب .

٢ - عهد القدماء الذين بدأوا بالكتابة أول مرة ، وفسروا كاتبين ما كان شفهياً عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

٣ - عهد المفسرين من القرن الرابع والخامس ، ومنهم الامام الطبري الشافعي الذي لا يدانيه أحد ولا يفوق ، وتقاسيرهم ككتب الحديث روايات متصلة بالاسناد بالتمام كليا .

٤ - عهد المفسرين اللاحقين الذين أسقطوا من الوسط سلسلة الرواة . والتزموا على كل حال ذكر من انتهت إليه الرواية وأسندت .

٥ - عهد القرن السادس ، كتب المفسرون فيه تقاسيرهم تحت إجماع اختصاصية لبراعة في ناحية من نواحي العلوم والنبوغ فيها . ففسر إمام من الله

١. وراعى فيما كتب جانبا من النحو والصرف، بينما ترى صوفيا أو فلسفيا فسر
آن تحت تأثير التصوف أو الفلسفة، فتنوعت في هذا العهد كتب التفسير ضروبا
ونا. وللعلامة الزمخشري مركز سام شغله بين المفسرين، وتفسيره والكشاف،
على جليل يختص بوجوه النحو والمعاني والبلاغة والبيان، وإنه مثل للمفسرين
بلين. فكم من بناء جعلوا الكشاف أساساً لبنائهم ورأوا فيه مثلاً به اقتدوا.

٦- عهد المفسرين من القرون المتأخرة. لم يأت المفسرون في هذا العهد
بمبدعين ولا مبتكرين، وإنما اقتفوا الآثار واتبعوا خطوات السابقين. إلا أن
أين منهم في المستوى الرفيع، ويحوزان قبولا وشيوعا بين العلماء والمتعلمين،
كدهما «الجلالين»، وهو تلخيص غريب وإجمال مدهش والآخر «البيضاوى»،
هو تفسير جامع شامل كفى تقديرا. بجمالة قدره وخطورة شأنه أن علق عليه
ثير من العلماء المتأخرين الحواشى وكتبوا له شروحا وإيضاحات ما لم يكتبوا على
سب غيرهم. وقد بلغ من السمعة والاقبال ما لم يبلغه أى كتاب. وستعلم مما يأتى
كعديدا من علماء الهند شرحوا البيضاوى وسجوا على منواله.

أما عهد كتب التفسير الموضوعة في بلاد الهند فيعود إلى الدور السادس. ومن
كتب الهندية في علوم القرآن وتفسيره خمس عشرة كتابا يمتاز ويستحق
ذكر وهي:

- ١- كتب التفسير من جنس العموم ٣
- ٢- كتب التفسير لها وجوه اختصاص ٤
- ٣- في أصول التفسير ١
- ٤- كتب التفسير أدبا وعلماً ٢
- ٥- الشروح والإيضاحات للتفسير المتقدمة ٣

٦ - قائمة المواضيع وفهرس المندرجات ٢

(١١) كتب التفسير من جنس العموم - ٣

١ - تبصير الرحمن وتيسير المنان - والمعروف بين الناس بـ تفسير الرحمن، صنفه علاء الدين بن أحمد المہامی المتوفى ٨٣٥ هـ - ١٤٣١ م وهو من بني ورنط، قبيلة من سلالة العرب من المدينة المنورة، وهم الذين هاجروا إلى شواطئ قدح مخافة طغيان الحجاج بن يوسف واعتدائه عند ما هاجمها وأغار عليها.

والعلامة المہامی كان بارعا متضلعا وكان شافعيًا، صنف عدة كتب وقد ضاع كتابه تبصير الرحمن في حيدرآباد في مجلدين^١.

وهذا التفسير من قبيل الشرح الممزوج موضوع على أسلوب الجلالين، ولكن أوسع منه مجالا وأجمع درجة. فيه بيان موجز لكل قصص القرآن، وذكر مواضع نزول الآيات والسور، وفيه كذلك بيان ربط آيات القرآن بعضها ببعضًا.

وللكتاب ميزتان أبدع بهما واضعه ببراعته إلى نهاية الكتاب، فالأولى: يأتي قبل كل سورة بتوجيه وجيز لتسميتها، والثانية أنه يشرح بسم الله مسته بمواضيع السورة ومباحثها - فيقول في السورة الأخيرة مثلا:

«بسم الله المتجلى بأسمائه وصفاته وأفعاله في الناس، الرحمن بتكميله بعد إحصاء نور الوجود عليه، الرحيم بحفظه من شر ما فيه وشر ما خرج عنه،

وكذلك يشرح بسم الله في سورة قبل السورة الأخيرة مثلا، فيقول:

١ - في قائمة كتب برن نخستان خطيتان أصل رقم ٩٢٥ و ٩٣١ قيل عنها أنها من تصانيف فاضل مـ والمخطوطة المرقومة ٨٧٠، قالوا عنها أنها تفسير للعلامة المذكور والذي أرى أن هذه كلها أجزاء من رحمان، تفرقت.

«بسم الله المتجلى بكلماته في النور الفائق — الرحمن باشاعة ذلك النور، الرحيم باعازة من عاذبه من الشرور».

هو يأتي بكلمات «المتجلى بكلماته، بعد كلمة «الله، ويتبعه كلمة تستهل وتلائم موضوع السورة». وكذلك في الرحمن والرحيم. ولم يتعرض مفسر لهذا النمط الغريب في تفسيره في شرح بسم الله حتى يومنا هذا.

٢- التفسير المحمدي^١. وضعه الشيخ محمد بن أحمد ميانجي ابن نصير كجراتي، وكان صوفيا سالكا كما كان عالما، توفي ٩٨٢ هـ - ١٥٤٧ م. ويقولون عنه أنه شرح تفسير البيضاوي. وضع الشيخ هذا التفسير وكان نصب عينه أن يبين اتصال آيات القرآن وربطها فيما بينها. وكان يقول أنه لم يلتفت أحد إلى هذا الموضوع. وبالكتاب ليس جامعا ولا جليلا لنسبة إلى «التفسير الرحمانى». بل الواضع استفاد به وأخذ منه النصيب في ومنع تفسيره.

٣- التفسير المظهرى للقاضى ثناء الله پانى تپى المتوفى ١٢٢٥ هـ - ١٨١٠ م. وكان عالما متضلعا، وكفاك تقديرا براعته أن الشاه عبد العزيز الدهلوى المتوفى ١٢٣٩ هـ - ١٨٢٣ م. كان يلقبه ببيهي الهند. سمي تفسيره بالمظهرى على اسم شيخه مرزا مظهر جان جاتان. وللقاضى الموصوف كتاب فى الفقه الحنفى باللغة الفارسية سماه «اما لا بد منه»، نال من قبول الناس فى بلاد الهند طولا وعرضا أوفر حظ. وتفسير المظهرى تفسير معتبر يعرض اتجاهات الأحناف فى المسائل. وله سبعة أجزاء طبعت منها البعض فى الهند طبعا حريا.

(٢) كتب التفسير التى لها اتجاهات اختصاصية - ٤

١- شئون المنزلات. تفسير وضعه على المتقى البرهان پورى المتوفى ٩٧٥ هـ -

١٠٠٠ - أرى أن هذا الكتاب يماثل كتاب «كاشف الحقائق وقاموس الدقائق» الذى وضعه محمد بن أحمد كجراتى وهو مذكور فى قائمة المخطوطات العربية فى مكتبة ايشيوك سورساقى بنگال.

١٥٦٨ ع. وكان عالما جليلا، ارتحل في أخريات أيام الحياة إلى مكة المكرمة فاستوطنها. وله عدة كتب منها كتاب «كنز العمال» أشهر المطبوعات لدى العلماء وأسمهم لهم. وأما «شئون المنزلات» فذكر فيه الواضع كل الظروف المعبرة لنزول آيات القرآن مع ما شرح على وجوه النحو واللغة والبلاغة بعض الكلمات وبعض أخبار العبارات المنسوبة إلى المراجع المخطوطة بموضوع الكلام. وليس الكتاب يفسر القرآن كله سورة بعد سورة وإنما يتناول تفسير سور تتعلق بأسباب النزول.

٢- ترجمة الكتاب أو المراتب الأربعة. لمحب الله الإله آبادي المتوفى ١٠٥٨ هـ - ١٦٤٨ م. وهو من سلالة الصوفي الهندي الشهير فريد شيركنج الذي تنتهي شجرة نسبه إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب. وكان عالما وعارفا، بشر بأفكار ابن العربي تبشيرا جعله يدعى ابن العربي الهندي. وكان كاتبا خصيبا وضع عدة كتب. وقد شرح كتابه هذا وسماه حاشية ترجمة القرآن، وكان مطمح أنظاره في تأليف ترجمة الكتاب بالتمام وجه التصوف وبالأخص مسألة وحدة الوجود. وترى في الكتاب مواضع انحراف عن صحة العقيدة ومواقع الارتداد عن استقامة الرأي كالاستنتاج من آيات ٩٠ - ٩١ أن فرعون كان قد آمن بديانة نبي إسرائيل واعتق بها عند الفرق، كما ذهب إليه بعض المفكرين.

٣- التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية. صنفه أحمد بن سعيد المتوفى ١١٣٠ هـ - ١٧١٧ م المعروف بملأ جيون، وهو أحد أساتذة السلطان اورنگ زيب وشيوخه، وذلك يدل على توسعه في العلم وتبحره، وكان السلطان يحله إكراما ويظهر لمعرفته وعلمه أعظم التفات وأكبر اعتبار. وله كتاب مدرسي شهير في أصول الفقه موسوم بنور الانوار وهو شرح «المنار».

وأما التفسيرات الأحمدية التي نحن بصددتها، ويعرفها الناس بالتفسير

أحدى فليست تفسيراً للقرآن بأجمعه ولكنها تقتصر دون الآيات التي تتعلق بها وأمر والنواهي . وقد صرح المصنف في مقدمة الكتاب أنه ما أعتنى أحد الآن بهذا الموضوع وما سعى كاتب أن يلتقط من تلك الآيات فيجمعها ويفسرهما أنه كان مما يسمع في فتوة عمره عن الامام الغزالي أنه جمع خمسمائة آية من ذا الجنس ، ولكنه لما فحص عنه علم أن المسموع كان مكذوباً ، فقام للأمر عزم أن يفعل ذلك هو نفسه ، فباشر العمل وهو ابن السادس عشر وأتمه وقد بلغ الواحد والعشرين من عمره ، ثم نقحه وراجعته بعد ستة أعوام .

فاستأنف الكتاب بترتيب كل سور القرآن التي استنبطوا منها الأحكام ، ثم فصل عية تلك الأحكام والتوصيات ، وأعلن عن السور التي لا تحتوي آيات لأحكام أها خالية عن الأحكام فبدأ بالآية السابعة والعشرين من السورة ثمانية وهي :

هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً . .

استنبط منها أن الإباحة أصل في الأشياء ، والجزء النهائي من القرآن ، كل سورة منه مجردة عن آيات الأحكام إلا سورة ١٠٨ استدل بها على وجود حوض الكوثر .

٤- فتح الخير بما لا بد من حفظه في علم التفسير . لوضعه الشاه ولي الله الدهلوي المولود ١١١٤ هـ - ١٧٠٢ م . وكان أكبر الفقهاء والمحدثين صيتاً وسمعة في عصره . أتم دروس التعليم وهو ابن الخامس والعشرين من عمره وانخرط بعد ما نزع من التعليم العرفي في سلك النقشبندية تحت تأديب أبيه وتعليمه فاستخلفه أبوه بعد عامين . وفي سنة ١١٤٣ هـ - ١٧٣٠ م . ارتحل إلى مكة المكرمة ومنها إلى المدينة المنورة حيث تعارف هناك بالعلماء والمحدثين وتعلق بهم فنال الشهادة والخرقة من حوفي الشهير والعالم الكبير والمحدث الجليل أبي طاهر محمد ابن إبراهيم ، وبدأ

بالكتابة والتدريس بعدما رجع إلى مقره في دهلي، ومجدا في العلم والأدب فوضع الكتب والمصنفات في الحديث وفي فروع أخرى من الفلسفة الإلهية الإسلامية ولا يماثله أحد في تاريخ العلوم الإسلامية في الهند. وقد طارت سمعته الحميدة، راع صيته في طول البلاد وعرضها بل ملأ الآفاق ما وراء بلادها. وإن جلالة قدره وعظمة شأنه مرتكزة على تبحره في الأدب الإسلامي وتوسعه في كل ورعه وضروبه. ومع ذلك كان صوفيا ولقد أصاب نواب صديق حسن خان فيما قال عنه، أنه لو كان فيما مضى من القرون لرضوا به إماما لعصره. ولما سئل عن فقه أهل السنة من الأئمة الأربعة وعما تنتمي إليه نفسه وتختص، أجاب: «إني أعالج مستطاع جهدي أن أجمع وأمزج بين أطراف المسائل والاتجاهات من المذاهب فأجعلها تلتئم وتتحد، وعند الاختلاف أتمسك بما يثبت حديث صحيح صريح، وهذا ميسور لي مناله والله الحمد على ذلك، وإذا استفناه أحد أجابه بما يتبع من المذاهب. وتوفي رحمه الله عليه سنة ١١٧٦ هـ - ١٧٦٢ م.

وأما فتح الخير، الكتاب الذي نحن بصدده فقد جمع فيه الواضع كل حديث يفسر آية آية من آيات القرآن. وفي كتاب الاتقان للسيوطي باب جمع فيه الأحاديث من هذا النوع المسندة إلى عبد الله بن العباس المروية عن ابن عمر طلحة وعن الضحاك، ولكن هذا الكتاب يحتوي على جميع الأحاديث المعتبرة عند المراجع من هذا القسم، وهو الباب الخامس لكتاب آخر للواضع قدسمى بالفوز الكبير في أصول التفسير الباحث بأصول التفسير عن آيات القرآن وستكلم عليه فيما يأتي. وهاك مثلا من كتاب فتح الخير:

«إنا أعطيناك الكوثر، قال الرسول هو نهر، شأنك عدوك (سورة ١٠٨)

قال المشركون صف لنا ربك فانزل الله قل هو الله أحد (سورة ١١٢).

هذا الكتاب لا يذكر سلسلة الرواية كما تذكرها كتاب «الاتقان» من غير تغيير.

(٣) تفاسير علمية وأدبية - ٢

١ - سواطع الالهام. كتاب وضعه أبو الفيض فيضى المتوفى (١٠٠٤ هـ - ١٥٩٥ ع) وكان شاعر الدولة أيام السلطان أكبر فى بلاطه الملكى، وكان شاعراً تارسية شهيراً، له براعة بارزة فى ضروب العلوم وتضلع فوق العادة فى الفنون كتابه العربيان لشهيدان صادقان على نبوغه فى اللغة العربية وعبقريته المدهشة فى بيانها، فقد وضعها مع لزوم الصنعة المهمة متقناً وضعه بكال الحذق ومهارة فن. أحدهما «موارد الكلم وسلك درر الحكم»، والآخر «سواطع الالهام» الذى سرق إليه الكلام.

بدأ الواضع كتابه كمقدمة تحت عنوان «السواطع» وجعلها شطرين أجمل فى الأول ما سنع له من الأحوال وأتى فى الثانى بتجلية علوم القرآن، ثم قسم الشطرين إلى أبواب شتى، وسمى كل باب بالساطع وهذه السواطع يختلف بعضها ببعض فبها ما تطول إلى ثلاثين سطراً ومنها ما تقصر دون سطر واحد.

وصف الواضع من أحواله ومسقط رأسه وأنه كيف تسنى له البلوغ إلى بطانة ملك الذى خصص له ساطعين يمدحه فيها وقد وضع ساطعاً طويلاً يمدح فيه به وألحق المقدمة منظومة يصف بها كتابه ويقدر إحسانه أحسن تقدير.

إنه يأتى باسم أبيه وأسماء إخوته فى كتابه مرموزاً بالأحجية والالغاز، مدفوعاً بتقاضاه الصنعة المهمة، وهذه الاحاجى معقدة، غامضة، لن يهتدى إليها من علم له بتلك الأسماء من قبل، إلا بشق النفس وكثرة التفكير، على أن الخير كذلك لا يدركها بسهولة.

إنها تسعة . ستة منها المعنى وثلاثة إلغاز . والفرق بينها أن الأول لا يصح إلا برد واحد والآخر يصح بردود عديدة . فالأسماء التي ألغز بها الواضع ثلاثة أبو الفضل ، وأبو الفيض فيض (الواضع نفسه) ، وأبو الخير . وهي مراد بكلمات ليست بقاطعة المدلولات ، فهي تطلق على معان متماثلة . وأما الكلمات التي أتى بها في باب المعنى فهي قاطعة فيما تعنى ، مجددة لما تدل ، وأما فترتها وما كما تاتى :

١ - المعنى الأول : أساس العلم ، أصل الروع ، مطلع الإلهام ، رأس الرؤس إمام الكرام . عبر الواضع بهذه الكلمات عن اسم « مبارك » فالميم أساس للعلم والباء كذلك أصل وأساس « للقلب » الذي يرادف « الروع » ، والألف محل طو لكلمة إلهام ، وكذلك الراء والكاف في كلمتي الرؤس والكرام . رأس وإمام .

٢ - المعنى الثاني : والد عاد أصله أصل الروع ، مروم دور الاكر ومكرره الدهر . فكلمة عاد مرادة للاب ، والباء كما مر سابقا ، وكلمة ركا تخرج بقلب أ والتاء خرجت من مكرر أمد الدهر ، أعنى الراء التي إذا كررت إعدادها المحدة ٢٠٠ تصوير ٤٠٠ .

٣ - المعنى الثالث : مدلول الوالد والمكارم معه . وهو ليس بغامض جد فانك إذا ألصقت مدلول الوالد أعنى الأب بالمكارم تقرأ أبو المكارم .

٤ - المعنى الرابع : الأمل ، الروع (بمعنى البال) ، الولع ، الروح المكره الروع المرح (معناه البطر) . فاذا أخذت الأحرف من أوائل الكلمات لأبى الاسم « أبو تراب » .

٥ - المعنى الخامس : الحال ، الطود (بمعنى الجبل) ، الطول ، الصحو ، الرقة

منه البال)، السمو، الحدس . إذا جمعت الوسط من الكلمات لرسمت الاسم
برحامد . .

٦ - المعنى السادس: الطاء، الروح (بمعنى القلب)، الهدو، الأمر، الطمس
يوم، الرأى، الأمد . إذا رتبب الأواخر من أحرف الكلمات وجدتها تنطق
الاسم «أبو رشيد» .

وحسبك من الدلالات على ما أسست هذه المعيات عليها . وهى :

١ - ان هناك تعبير أحرف الأسماء بأخذ الأحرف من أوائل الكلمات المضروبة
أواسطها أو أواخرها، فإذا كانت الأحرف المأخوذة من المهملات فلا سيل
وعورة ما وتكون الكلمة على وجه المطلوب، وأما إذا كانت منقوطة فيأتى
بوضع إما بكلمة مترادفة يؤخذ منها الحرف المطلوب ككلمة أصل الروح ترادفه
أصل القلب وإما يرمز إلى الحرف المطلوب من ناحيته العددية كحرف التاء
صل بتكوير الراء .

٢ - إن الواضع فى تعبير الأسماء من ذوى قرباه بهذا الأسلوب البديع يختار
كلمات تنطق بالبراعة وتفوح بالكرامة والفضل ، ودلالة الأحرف من فوائح
كلمات وأواسطها وخواتيمها تمثل ألوانا من مميزات المدح والثناء بنفسها .

٣ - هؤلاء أبو تراب، أبو حامد، وأبو رشيد، هم أخوة العلات للواضع، ذكرهم
الترتيب لى يشير إلى أعمارهم . فليسابق الحرف الأول من الكلمات، وللتوسط
الحرف الوسط، ولللاحق الحرف الأخير.

ومن الغرابة وأعجب العجب أن الناس على وجه العموم أضمرُوا لفيضى الطعن
دنه وحسبوه ضالا، فاسد العقيدة والايمان من غير أن يكتب فى تفسيره أو

في مقدمة كتابه ما يخالف معتقدات القدماء أو يناقش استقامة تقاليد دينية وإليك من كتابه أربعة وجوه يعرف بها الضال من المؤمن المتبع:

١ - القرآن آخر كتاب من الله ومحمد آخر من رسله صلى الله عليه وسلم أجمعين.

٢ - المعجزات وخوارق العادات كولادة عيسى بن مريم بغير أب، وقص أصحاب الكهف وأصحاب الفيل وما سواها.

٣ - إن الله يهدي من يشاء إلى الصراط المستقيم، ويضل الله من يشاء سواء السبيل.

٤ - الإسلام هو الحق دينا.

ترى فيضى يذهب في كتابه في تمثيل تلك الاتجاهات إلى أقصى حدود الأشداء المتمسكين بالعقائد من القدماء.

وهذا التفسير ليس بشيء غير الاتقان اللغوي والنبوغ الأدبي، فإن الاتقان حتم على صاحبه إيجازا جعل الشرح أعقد من المتن نفسه، وجعله لا يهمل أن يتحاشى ويتجنب عند التفسير عن الأحرف المنقوطة في الكلمات فلا حيلة إلا أن يقوم مقام المطيب العاثر أو أن ينزل منزل الموجز الغامض غير مكتن بمسيسة الاجمال أو بضرورة الوضوح والتفصيل، ولنا أن تقارنه في إيجازه بالنفس الشير بالجلالين الذي يخلو عن اللزوم من هذا النوع، فهو يقدم بين أيدينا أليان بأيسر الكلمات، بينما «السواطع» تشقشق وتبالغ بكلمات غير عادية.

الناقد الهندي العلامة «شلي» الذي استشهد به الاستاذ براون المتوفى في دار «تاريخ آداب اللغة الفارسية» يقول عن السواطع أنه ليس إلا الظاهر والتسا

درة صاحبه على اللغة العربية وكفائته لأدبها^١، ويرى المولى عبد الحق الذى
لت مقدمة تفسيره الأردى إلى اللغة الانكليزية ما يرى العلامة سواء بسواء^٢.

ومما يستحق النظر والاعتبار أن النواحي البارزة من مميزات الفكر الهندى
والأدب العربى والفارسى هى بنفسها موقفة لأن تتجلى بأسلوب من الاصطناع
لازدهار والتنميق والتليع. وها دونك الأدب الفارسى تجدد فيه «أمير خسرو»،
كبر الشعراء فى الهند، وضع مثنوى «قران السعدين»، وكتاب «إعجاز خسروى»،
مرا ونثرا وكلاهما صنعايان بكل معنى الكلمة، وتجدد فيه بين المتأخرين من
شعراء أمثال ملا ظهورى وعبد القادر بيدل وأقرانها ساءت بهم سمعتهم لهذه
نقصة. وهذا عرفى كبير الشعراء الفارسيين الذى قضى الشطر الأخير من حياته فى
هند لم يستطع إلا أن يخضع لهذا التأثير. وكذلك فالقول صواب وكلاهما معجبان
برحبان بين بلاد الهند وتركيا. وكلاهما نالا قبولا عاما من الأراك وأهالى الهند
إنكن لم يكتسبا من بنى جلدتهما غير الإهمال والاستكراه. وقد قال عنها
نواظرون «إنهما كانا يملكان عبقرية الشعر وقوة الإبداع ولكنها انعمت عليهما
بفتوحات عندما قاما بالهند واستقرا»^٣.

إن اللغة العربية لم تنل من بلاد الهند قبول الفارسية ولا إحتفائها بين أهاليها
وكن ذلك لم يتركها بلا نصيب من هذه النزعات والاتجاهات من الفكر
الهندى. إن المسلمين من كتاب الهند نراهم فى كل ما كتبوا عن اللغة والخطابة
فشفغوا بالصنعة المهمة إلى درجة الجنون لكونها صعبة المراس، شاقة العمل،
ولغة العربية كذلك من هذه الناحية كما نعم نصيب يذكر فنه هذا الكتاب

١- شعر المعجم - لشبلى طبع أعظم كونه - ١١١ - ٦٧.

٢- عبد الحق الحقى مقدمة تفسيره بالانكليزية ص ٥٧٦.

٣- محمدان فارس - لعمد حسين آزاد مزاييا فارسية الهند.

«سواطع الالهام» لفيض وله كتاب آخر المسمى «موارد الكلم».. ثم هناك كتاب في تفسير سورة يوسف وكتاب في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وضعه محمد صديق اللاهوري بلزوم هذه الصنعة بعينها.

لقد تبرع فيض بوضع كتابه إلى الأدب العربي تبرعا صناعيا بالتمام كما تنقضا لميزة الفكر الهندي وأنا لا أعلم كتابا وضع خارج حدود الهند إلى هذا اليوم موقفا بالاحتفاظ كمثل هذا الكتاب.

٢ - «جب شغب» أو «فيض غيب» لواضعه عبد الأحد بن إمام علي الاله آبادي، وهو كاتب حديث العهد جدا، وكتاباه تفسير للجزء الأخير من القرآن بلزوم الصنعة المنقوطة. فهو ضد السواطع في صنعته. وفيما يلي من تفسيره ما يتعلق بسورة الفاتحة وهو يمثل لك أسلوب الكتاب ويعرض عليك مزية أخرى من الذوق الهندي:

الحمد لله	يثني ثنية
رب العلين	يغذي غذية
الرحمن الرحيم	يفضي فيض جيب
مالك يوم الدين	يغبين شقي يزقن تقي
إياك نعبد	ثبتي نيتي
إياك نستعين	تغيثني
إهدنا الصراط المستقيم	في غي بغني نجني
صراط الذين انعمت عليهم	بششت بشيشة
غير المغضوب عليهم	غضبت غضبة
ولا الضالين	نفي بغني - خذني بخفض غض

وحيث أن هذا الأسلوب من الكتابة مجلوب بالنظرية والاصطناع جلبا نهائيا حيث أنه يصعب به الإيضاح عن المطالب والأفكار لأجل الالتزام بالكلمات المقطعات، فكان الشرح المقدم بين أيدينا بالطبع أنقص وأغمض مما قدمت به السواطع. وما أراد الواضع أن يكتب كتابا في التفسير إنما كل همه هو التظاهر بتفاخر بمعرفته باللغة العربية ليمدح به نفسه ولعله فيما أراد موفق مفلح. إن نمك بالصنعة المنقوطة لأشد وأصعب منالا من ضدها، فهذا التفسير يعود بكر الفضل وأجل الفخر إلى صاحبه مما تعود به «السواطع» إلى فيضي.

نعم إن «السواطع» تفسير للقرآن كله وهذا التفسير للجزء الآخر منه فقط ينك ذلك لا ينقص شيئا من مقدرة الكاتب ولا يضر بزوجه وكفائته فانه لم يغير سورة ما تلائمه في عمله ولو فعل ذلك لاستدلوا على عجزه وانه ما استطاع إنجاز العمل. فلعله لم يجد من الوقت متسعا أو أدرك عاجلا أن في ذلك ضياع يتلاف لنشاطه العقلي وفعاليته الذهنية، وفي خاتمة الكتاب أنشد منظومة مثلية لنسمة المنقوطة وهي حسبنا للحكم على عبقريته في الأدب العربي.

وجب شغب اسم تاريخي تستخرج بحروفه سنة ١٣٠٧ من الهجرة وهي أيام وضع الكتاب.

والاسم مثل الكتاب غامض مغلق لا يدرك ما أريد به إلا بالرجوع إلى هموس. فالجب معناه البئر ولكن الشغب كلمة عديدة المعاني منها «الحياد عن الطريق والابتعاد عنه». فالمفهوم إذاً بئر على بعد عن الطريق، وهذا التفسير يخلو كالبئر على حياد من الطريق اعني الأساليب العادية ولذلك سمي الكتاب «وجب شغب».

١ - (٤) في أصول التفسير

في هذا الباب كتاب واحد وهو « الفوز الكبير » وضعه الشاه ولي الله الدهلوي وقد اسلفنا بذكره وكان الكتاب موضوعا بالأصل باللغة الفارسية ثم ترجمه واحد من أهالي مقاطعة مدراس إلى اللغة العربية ولم يعرف اسم الناقل . والكتاب منقسم إلى خمسة فصول . فالفصل الخامس ككتاب مستقل موسوم بـ « الفتح الخير » وقد تكلمنا عليه فيما سبق ، وأما « الفوز الكبير » فركز قدره وجلالته هو إتقان في تبيان مبادئ التفسير وإيضاحه الدقيق عن الأصول لشرح آيات القرآن .

رتب الواضع مواضيع القرآن على خمسة أقسام ، وهي :

- ١ - الأحكام ٢ - المجادلة ٣ - التذكير بأحكام الله ٤ - التذكير بأيام ٥ - التذكير بالموت وبعد الموت .

والقرآن يحادل الذين أشركوا من الناس والذين ناققوا والذين هاد والنصارى . فالواضع بعد ما أوضح من القرآن مواضيعه وتكلم عن المجادلين ، أحزاب الناس ، وضع رسماً كاول مبدأ ليلمسك به من أراد كتابة التفسير ويتخذ لخطوته دليلاً أن القرآن في كل ما يدعو إليه وفي كل ما يبين للناس من المواضع المذكورة يذهب بأشد الدقة والاحتفاظ مذهب العرب القدماء في أسلوب الكلام ولا يسلك مسلك الواضعين والكتاب المتأخرين البارعين المحنكين في هذه الكتب بالنظم والترتيب .

ونقطة أخرى التي عالجها الواضع لقراءته أن يدركوا أن موضوع القرآن ومطأ أنظاره في آيات التذكير بأحكام الله ليس ان تلقى أمام الانسانية خطبات الفلسفة أو دروس من التاريخ ، إنما القرآن أتاها بها ليظهرها ويخلصها . فيذكر

نصائر والحقائق بديهيات أمام الأعين ولدى الإنكار ويقص من الروايات القصص، هو معروف بين الناس.

كاد المفسرون على وجه العموم يعتقدون أن هناك باعثاً ما نزلت الآيات كلها بدافع منه، فحارلوا أن يفسروها على ضوء الروايات التي هي سبب النزول، فام الشاه ولي الله يخالف هذا الاعتقاد السائد ويعارضه قاتلاً:

« ما دامت الغاية من وحى القرآن تطهير الانسانية وتشريفها وما دام القرآن يقصد بآياتها تقويم المعوجات من العقائد وتحسين الأعمال بالصالحات فوجود الاعوجاج في الاعتقاد ووجود السيآت في الأعمال هو الباعث لنزول الآيات من الجدال والأحكام».

وقال الواضع في الفصل الثاني من الكتاب، نزل القرآن بلسان عربي مبين، فأدركه العرب كلية بمجرد ما سمعوا أو قرأوا من آياته، من دون تفكير طويل، بحيث أن الرسول لم ينشط لهم أن يخوضوا في الآيات المتشابهات فما سئلوه عن تحليل العقلي لأمثال تلك الآيات. فلما أسلم العجم واعتنق بالديانة الإسلامية عبر العرب قامت على وجهها من العقبات والعراقيل أمثال ما تآى:

١- التورط والابهام في بعض الكلمات.

٢- قصور العلم بما يتعلق بالناسخ والمنسوخ.

٣- قصور المعرفة بما يتعلق بأسباب النزول لبعض الآيات.

٤- التعقيدات من علم النحو، والاشكالات من علم البلاغة والبيان.

فكل ما يتعلق بالتعقيد في الكلمات والغموض في بعض المفردات، يقول واضع عنها إن مدلولات أمثال تلك الكلمات وصلت إلينا سندا عن عبد الله

ابن عباس عن عديد من الرواة وقد جمعها الواضع في كتاب سماه «الفتح الحبيب» وهو الفصل الخامس من هذا الكتاب.

وعلى ذكر المنسوخات يقول الشاه إن المتقدمين من الكتاب عبروا عن كلمة «ناسخ» أوسع معانيها حتى بلغت أعداد الآيات من نوعها إلى ما لا يقل عن خمسمائة آية. فأنزلها السيوطي سنداً عن ابن العربي إلى عشرين آية ثم هبط بها الواضع قفلها إلى خمس فقط.

وأما مسألة مناسبات نزول القرآن فيؤكد الواضع في بابها أن منطوق «سبب النزول» هو محل الخلاف في البحث، فكل حادثة وقعت أيام النبوة وانطبقت على حدوثها آية ما أخرى بأن توضع بالاهمال وعدم الاكتراث موضع «السبب» لنزول تلك الآية. والتصريح العام «نزلت الآية في هذه» من الكاتبين القدماء لا يحتم علينا أن نقول إن هذه الاحدوثة كانت سبباً لهذا التزيل.

وأما قضية الأخلاق الأدبية اللغوية والأشكال النحوية فأتى الواضع بقائمة طويلة ذهب فيها بكل تعقيد من اللغة، وحل فيها كل إشكال من النحو.

وفي الفصل الثالث من الكتاب أوضح الواضع صفات اختصاصية لأسلوب القرآن، وبيّن القصيد في ذلك أن نصوص القرآن ومتونه ليست موزعة منظمة ككتاب مرتب موضوع، فالواضع يقارن السور بالأحكام والمأمورية التي تصدر الأوامر لتابعيها من حين إلى حين كما تتقاضاه الأحوال والظروف. ومن الحق أن هذه المقارنة التي قام بها الواضع بالبراعة والاتقان وبشيء من البسط والتفصيل هي فكرة جديدة بالتقريب.

في الفصل الرابع من الكتاب انتقاد عمومي من الواضع على البقية الباقية من

في التفسير، والنقطة المهمة فيما قال عن الانتقاد أن المفسرين المختلفين فيما بينهم اتجاهات. راقهم أن يكتبوا وفق ما يتمتعون بالاختصاص في نواحي العلم بالأدب. فالنحوي مثلاً وضع تفسيره على وجوه نحوية وكذلك الفيلسوف فسر على ضوء من دلائل عقلية. وهذه الناحية من العمل هي أضرت في فهم القرآن عند الضرر، فحالت دون درك الروح الحقيقي من القرآن.

وكذلك علم التجويد الذي ألهى قراء القرآن عن الخوض في المعاني الحقيقية لأبواب وإدراكها وحولهم ليرتلوها حق الترتيل ولا غير.

(٥) الشروح والحواشي على التفاسير السابقة — ٣

١ - لقد ذكرت فيما سبق خطورة تفسير اليبضاوي وما له من الأهمية الاعتبار ومن الحواشي التي وضعها كتاب الهند على اليبضاوي أعماها مطالعة وأكثرها قيمة هي ما كتبها عبد الحكيم السيالكوتي (١٦٥٦ - ١٠٦٧) الذي كان عالماً شهيراً متفقاً كاملاً من أعيان الدولة في بلاط الملك «شاه جهان»، وقد طار صيته بصرته وهو حي كمفسر متضلع يضع الشروح ويكتب الحواشي إلى أبعد الحدود. لما وراء تخوم الهند حتى بلغت صاحب كشف الظنون في قسطنطينية فذكر فيه في «كشفه»، وهما كانا معاصرين. وحيث أن المهم من اليبضاوي هما السورتان الأولىان فقد قام عبد الحكيم بتحشيته ولكنه لم ينجز العمل فأتمه إلى ثلاثة أرباع الجزء الثاني فقط وحواشيه كلها مزينة مدبجة.

وقد تكلم صاحب «خلاصة الآثار» عنه وعن حواشيه برفعة شأن وجلالة القدر ويقول عن حاشيته على اليبضاوي «رأيتها وطالمت فيها دقة».

وفما يلي من حاشيته بعض المزايا والصفات :

١ - هي تقدم تعليقات لغوية وتشريحات نحوية للكلمات المغلفة والعارضا الملتوية من اليبضاوى .

٢ - هي توضح الغموض والابهام من العبارات لليبضاوى .

٣ - هي تحقق الأحاديث التي أوردها اليبضاوى وتختبرها ثم تأتي بإسنادها لم يأت بها اليبضاوى وهي كذلك تسرد متون الحديث بتمامها عندما أج بها المفسر .

٤ - ومن مزايا هذه الحواشى المهمة أن عبد الحكيم لكونه حنفيا يدافع الادلة لكونه معارضا لليبضاوى لانه شافعى فى مسلكه .

٢ - الكالين حاشية الجلالين ، لكاتبه سلام الله (١٨١٣ - ١٢٢٩) و من سلالة عبد الحق الحقى المحدث الشهير فى دهلى وكان هو محدثا بنفسه صنه عديدا من الكتب وحاشيته على الجلالين بمجمله موجزة كاجمال المتن نفسه و نالت قبولا فى الهند عظيما .

٣ - الهلالين حاشية الجلالين ، لكاتبه تراب على (١٨٦٤ - ١٢٨١) و كتب أخرى عديدة وحاشيته ليست بجته عادية من الحواشى ولكنها كالشعر الممزوج فى أجمع وأوسع من الكالين ، ولو لم تقصر دون الجزء الأخير القرآن وكانت كاملة كالكالين ، لكانت أعظم نقعا وأكثر خيرا .

ولما لم تكن العربية يوما ما لغة البلاد ، آثرت الهند لطبيعة الحال المؤلفات وإبداع الموضوعات على نوع الحواشى والشروح لتمكن من أولاد وتعلمهم قادرين على أن يفهموا مستوى الكتب العربية المدرسية ، أن الحوا

الملاحظات التي وضعت في الهند هي نافعة جدا وهي أكبر مساعد كما أشار إليه
لاستاذ مارغوليتيم في مقدمة كتابه Charestomathia Baudiana عند ذكره عن
الحواشي المطبوعة في لكتناو وقد كانت بين الحواشي الثلاثة التي استفاد منها
لاستاذ في كتابه فقال: «لو كانت طباعة الحجر لهذه الحواشي أجلى وأوضح لكانت
أجدي نفعا للتعلين».

ذلك ما قاله الأستاذ على حاشية معلومة ولكنه ينطبق على أكثر الحواشي
والشروح الموضوعة في الهند ويمثلها بلا جدال.

(٦) فهرس القرآن وقاموس كلماته - ٢

أن المثل الأدرى المتقن للفهرس اليوم لا شك عمل عصرى حديث، ولكن
كلمة بأوسع المعاني معروفة المدلول منذ عهد قديم بأنها قائمة محتويات الكتاب،
أما الفهرس كقاموس لكلمات كتاب فليس له من القدامة عهدا يذكر، فقد
أدركه العلماء المسلمون وعرفوا به عندما هموا بعلم أطراف الحديث ولعل كتاب
أطراف الصحيحين لابن عبيد الدمشقي (١٠٠٩ - ٤٠٠) أول كتاب من جنس
الفهرس وضعه كاتب مسلم.

فهرس القرآن

١ - «هادية قطب شاهي»^١ وضعه محمد علي الكربلائي وأهداه إلى السلطان
عبد الله قطب شاه (١٦٧٢ - ١٦١١ - ١٠٨٣ - ١٠٢٠). والكتاب على قسمين،
فتم رتبت الآيات فيه وفق أوائل الحروف منها وقسم يأتي بالآيات بأخر
أحرف منها، وفي كلا القسمين يذكر الواضع «الجزء»، «الحزب»، «السورة».

١ - هذا الكتاب في عداد الكتب الفارسية كما قال عنه مثيرا شوري في فهرسه عن الآداب الفارسية (الأنظار
رقم ٨٤) ولكن لنا أن نسجله كتبرع إلى اللغة العربية لأنه ليس الا قاموسا للكلمات العربية.

٢ - «نجوم الفرقان»^١. لكتابه مصطفى ابن محمد سعيد الذي أهداه إلى السلطان اورنگ زيب وهو ليس كتاب فوائح الآيات أو خواتيمها ولكنه قادر على لكل كلمة القرآن، فهو عصى في نسقه ونظامه بالكلية كمثل فهرس فليوغل من النوع المسمى كذلك بنجوم القرآن.

بين النجومين

يبدأ فليوغل بوضع الكلمات طبق مادتها ثم يأتي بكل مشتقاتها من الأصل ولكن مصطفى يرتب الكلمات من غير قيد المادة والاشتقاق، فكتابه إذا أرق وأيسر من كتاب فليوغل الذي لا يقود بالطالب إلى الكلمة المطلوبة إلا إذا كان عارفا بالمادة، ولكن نظرا إلى المقاصد اللغوية نجد فهرس فليوغل أنفع من غير فلو جمعنا بينهما لكان في ذلك ما يكفي ويغني.

وثمة فارق آخر بين الكتابين وهو أن فليوغل يذكر السور والآيات بالرقم، بينما المصطفى يشير إلى الجزء والركوع. فليوغل يأتي بالأعداد ومصطفى يضع حروف الأبجد وفيه من الوعورة والنقص ما لا يخفى.

وقصارى الكلام أن نجوم مصطفى كانت من أحسن الفهارس للكلمات القرآنية إلى أن وضع فليوغل نجومه وليس من دواعي العدالة أن نفتكر في المقارنة بين النجومين نظرا إلى التيسيرات المدهشة العصرية.

١ - يرى مستشاري هذا الكتاب كذلك فارسيا ولكنه عمل عربي لما قيل ولأن مقدمته نقلت إلى العربية وفي طبع مدراس ١ - ح ١٢٩٢ - نشرت المقدمة العربية المترجمة عن الفارسية.

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

العدد الثالث

سبتمبر سنة ١٩٥٤

المجلد الخامس

محتويات هذا العدد

صفحة

٢٧

دكتور زيد أحمد

٢ لك الأدب العربي

↑
الموضوع

إلى الادب العربي

للدكتور زيد أحمد

الكتب عن اللغة

للبحث عما ساهمت به الهند في الأدب العربي من ناحية اللغة وما يتفرع منها ثلاث وجهات: النحو، المعاجم والقواميس، البلاغة والبيان. وإليك منها كل الوجهات.

(١ - النحو)

عما لا شك فيه أن نهاية القرن السابع من الهجرة هي الأيام التي بلغت فيها حركة الوضع والابتكار في علم النحو أقصى حدود الكمال. فليس هناك بعد الهشام المتوفى ١٣٥٩-٧٦١ من يتكرر في النحو ويأتى بأشياء من عند نفسه بعد الفحص والتنقيت. وابن الهشام هذا هو الآخر من النخبة الأربع البارزين الذين أولهم الزمخشري صاحب الفصل، ثم الحاجب واضع الكافية، ثم ابن المالك كاتب ألفية. ولكن ذلك لا يفي أن دراسة النحو في الأيام الأخيرة ظلت غير ناتجة. وأن ما جادت به القرائح بعد، لا يستحق الذكر والرواية. فأول كتاب نستطيع أن تقدمه كساهمة معتبرة من الهند إلى الأدب العربي في هذا القسم المختص. هو كتاب «تعليق الفوائد» لواضعه العالم النحوي محمد ابن أبي بكر الدماميني من نخبة مصر. وقد دعاه بعض أنجال الملوك إلى الهند مكرمًا بالشرقيات الملكية وتمييزاتها. فكتب الواضع هذا الكتاب في موضع «كهمبات» من إقليم كجرات (٨٤٦-٨١٤) وهو شرح كتاب «تسهيل الفوائد» وتكميل المقاصد لابن المالك.

والكتاب الثاني وهو للواضع نفسه، المثل الصافي، شرح الكتاب، الوافي،
لمحمد بن عثمان بن عمر البلخي. كتبه للاهداء إلى ملك آخر سمي الملك الأول
أي أحمد شاه البهنوي (٨٣٨-٨٢٥) أيام ١٤٢١-٨٢٥ وهو في طريقه إلى
إحسان آباد (كدرگه).

والكتاب الثالث وهو كذلك للواضع، تحفة الغريب، شرح كتاب، مفتي
الطيب، لأن الهشام. كتبه في شهر الا أيام ١٤٢١-٨٢٤. فهذه الكتب الثلاثة
ثمينة قيمة كفاك تقديرا لها ما قاله السيوطي في كتابه، بغية الوعاة، عن الواضع
منها عليه

وهناك في النحو كتاب آخر، الارشاد، أو إرشاد النحو لشهاب الدين
الدولت آبادي المولود في موضع، دولت آباد، (الدكن) في المنتصف من
القرن الثامن. وقد أتم دراسته في دهل على العالمين البارزين في تلك الأيام،
القاضي عبدالمفتدر ومولانا خواجكي. وعندما هاجم تيمور على دهل عاصمة
الهند واحتلها، اضطر خواجكي ومعه طالبه شهاب الدين أن يغادرا دهل إلى
محل آخر. لحدث أن وصل الشبح إلى قرية تسمى، كالي،، ووصل التليذ إلى
، جون پور، حيث رحب به ابراهيم شاه الشرقى (١٤٤٠-١٤٠٠-٨٤٤-٨٠٤)
وأكرمه فقصه قاصيا ثم شرفه بنقب ملك العلماء. تقديرا بحمدارته وحذاقته في
المعارف والعقود وكان خليقا بكل ذلك. وله عدة كتب. وتوفي عام ١٤٤٥-٥٤٩
أو قبل ذلك.

الارشاد، كتاب مدرسي في علم النحو يراه علماء الهند فوق، كافي، ابن
الحاجب، فضلا على المزاي التي تجعله من خيرة الكتب أنه يتصف بما لا
يتصف به كتاب آخر في علم النحو، كما يقول الواضع عنه: «وتيسر لي بتيسير الله

يراد النظر لأحكامه في ضمن التعبير، مثلت لكل حكم تمثيلا ينطق بعبارة أو
بعبارة ما سبق أو سبق.. فوضع كتاب درسي بكامله ملتزما هذا الوصف الغريب
ليس من الهين الميسور، ولكن الواضع ذلل الصعاب بجذاته وأخضع المضلات
من اللزوم بكفائته. وما دونك بعض الأمثال من الكتاب:

«من الحروف الجارة «من» التي يراد منها إبتداء لغاية في المكان أو ما
يرجع من البيان. و«الباء» لالصاق الشيء بالشيء.. و«على» للاستعلاء
الشيء على الشيء.. و«في» لوقوع معنى الفعل في زمان أو مكان. و«إلى»
لبلوغ الشيء إلى غاية.. و«عن» للبعد والمجازة عن الشيء.. و«حتى»
لحصول شيء حتى انتهاء.. و«الكاف» لكون الشيء بشيء آخر معناه..

فاذا قارنت ذلك بما في الكافية من بيان حروف الجر وهو «فن» للابتداء
والثنين، و«الباء» للالصاق، و«على» للاستعلاء، و«في» للظرفية، وعن المجاوزة والكاف
للتشبيه، لاستبان لك ميزة ما بين الكتاتين، واتضح عليك الوصف الذي يختص
به كتاب الارشاد. نعم، إنه لم يبلغ من السمعة والاذاعة عند الناس ما بلغ إليه
«الكافية»، ولكن المقارنة العادلة تبين لنا أن الأول أحسن تنسيقا من الثاني
وأوفى يانا للسائل منه، وأن اختصاص الارشاد بإيضاح المبادئ والمصطلحات
بنفس تلك الكلمات التي يصف بها الواضع إيماها بجمله موجزا مستوعبا أكثر من
الكافية، وأن سمعة «كافية» وشعبية تعودان إلى أنه وضع بين الناطقين بالعربية
أيام لم يكن للنحو في المدارس كتاب يدرس. بينما وضع «الارشاد» في الهند
التي لم تتعلق بالعربية كلقتها يوما ما ولا عبء للفترة القصيرة التي غبرت فيها معنى
لها بالسواحل الغربية للهند. وزد على ذلك أنه وضع وفي أيدي المتعلمين من
النحو مؤلفات ومجموعات، على أن المثل السائر في الشرق «اللاحق فوق السابق»
ما يحسد الارشاد ويمزقه ولكن «الكافية» لا يزال يتمتع «بالفضل للخدم».

وفيا على تعليق الحاجي على كتاب الارشاد :

« هو من لطيف تعمق في تهذيبه كل التعمق ، وناقى في ترتيبه حق التائق ..
وكم من العلماء قد شرحوا الارشاد . فذكر الحاجي من الشارحين اسم أبي
العقل الكازروني أحد شيوخ مارك والد أبي الفضل الذي أتى عليه في كتابه
« آئين اكبرى .. » وكذلك يذكر الاستاذ ركلان عن شارحين آخرين ولكنها لا
تصلان بالهند . وهذا عند النسي الشطاري عالم هندي جليل من أعيان عهد
الملك جهانكير كتب شرحا على كتاب الارشاد .

وشهاب الدين المذكور أعلاه شرح كتاب الكافية باسم « شرح الهندي » . يقول
الحاجي « إن شرح الهندي من أجل الشروح للكافية ، وهناك شارحون آخرون
لا يقل عددهم من أربعة ، منهم رضى الدين . ومنهم الشاعر الفارسي المعروف بجامى
الذى يقولون عنه أنه كتب شرحه مدفوعا بما بلغه من صرامة وتهور من قبل
عالم هندي . والقصة بما فيها أن أحد أبناء جامى وصل إلى الهند فحدث أن
سأله أحد من العلماء من هو؟ وعندما علم به استخف به قائلا « فأنت ولد شاعر » ،
أى الذى لا يعتمد ولا يعتمد به . فلما بلغ ذلك جامى عزم أن يبرهن على
جدارته العلمية فكتب هذا الشرح . ولما أتى بهذا العمل العلمى الجليل إلى الهند
وعرض على ذاك العالم الهندي ، فعلق عليه بعد التفحص والنظر أنه لا يتضمن
إبداعا وإن كل ما فيه ليس إلا على أساس شرح الهندي .

لك أن تنكر صدق ما يقصون عليك ولكنك لا تستطيع أن تنكر أن
شرح الجامى ماعدا بحشه عن الحاصل والمحصل لا يمتاز عن شرح الهندي ،
وعلى غالب الظن أن شرح الهندي كان للجامى ماخذا في شرحه ، وأن قول
الحاجي بأن شرح الهندي وشرح الجامى هما المصدران للأبحاث الواردة في

الشرح التركي للكافية ان لم يدل على مماثلة الكتاين. فقيه ما يشهد لنا فضل شرح الهندي على وجه الكفاية.

وقصارى الكلام أن شهاب الدين الدولة آبادى وضع فى النحو كتاين : كتابا فى المتن وكتابا فى الشرح . فالتن إن فاته أن يفوق الكافية فلا يفوته أن يكون نظيرا خطيرا لعمل ابن الحاجب . وأما الشرح فهو كالمصدر والاساس لأجود شروح الكافية وأحسنها . ولو صرفنا النظر عن هذه الكتب الثلاثة التى وضعها الدمامينى فإن كتابى الدولة آبادى هذين كمساهمة من القطر الذى لا يتكلم باللغة العربية فى قسمها النحوى ، لعملان خطيران يستحقان التقدير والاعتبار . وأكثر من ذلك أن الهند عدا هذه المؤلفات وضعت كتبا عديدة فى النحو . فبعد الرشيد الجونپورى كتب « تذكرة النحو » و « بداية النحو » كتاين . وبداية النحو هذا أول كتاب من نوعه . فقد التزم الواضع فيه أن يأتى بكل الأمثلة من الفقه . وبعد الحكيم السيالكوتى كتب شرحين مبسوطين فوق شرح الجامى : أحدهما كالكلمة للعمل الناقص من عبد الغفور تليذ الجامى فى شرح شرحه ، والثانى هى الحواشى على شرح عبد الغفور . وكلاهما طبعا فى قسطنطينية وفوق ذلك نجد فى ملحق الكتاب قائمة تذكر عديدا من الكتب التى وضعت فى الهند . ولا سيما كتاب « غايات التحقيق » لصافى بن ناصر تليذ شهاب الدين فى شرح الكافية . وقد استحسنه الحاجى .

وقبل أن تم الكلام عن الكتب النحوية الموضوعة فى بلاد الهند يجب أن نذكر عن رسالة نادرة لعلى المهنمى السالف بالذكر . وهى ليست بجمهورها كتابا نحويا ولكنها تبحث عن تحليلات نحوية لفاتحة سورة البقرة . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، بأنواع الطرق . وهى معدومة لا توجد . أورد منها غلام على آزاد فى كتابه « سبعة المرجان » اقتباسات طويلة ، وهى كذلك تشهد أن الهند أنجبت

علماء نابغين في العلوم العربية ومعارفها.

(٢ - المعاجم والقواميس)

هناك من رجال المعاجم ثلاثة يتصلون بالهند بنوع ما، ولهم مؤلفات تعد نعمة القواميس وصعوبة منها. فهم رضى الدين الحسن الصفاتى الهندى ١٢٥٢-٦٥٠. وهو كما عرفناه فيما سبق ليس بالهندى أرومة، وإنما نزل أبوه الهند واستوطن لاهور حيث ولد رضى الدين ولذلك يدعى اللاهورى فوق الهندى. هو محدث حليلى ولغوى كبير وضع عديدا من الكتب، ومن مصنفاته اللغوية: ١- العباب - وهو قاموس معتبر، متداول بين العلماء من أكبر المعاجم التى وصفت بعد المحكم، مدد الصحاح، إلى مزهر، وقد بلغ من الصيت مكانا غيا عن أى تعليق.

٢- نكتة ودبل وصلة - كتاب من نوع الانتقاد على الصحاح، وقد استطاع الواضع كتابة حزين أوليين منه وفاتحة الجزء الثالث إلى حرف العين ثم توفى، رحمه الله عليه. وفى واحد من الجزئين صحح الواضع أغلاط الصحاح، وأورد فى الثانى من الكلمات ما تركها صاحب الصحاح. ولا يخفك ما فى هذا العمل من التذمر والصباب، فوضع قاموس بكامله من جديد أيسر وأهون من النقض عليه ورتق فقه. كما رى فى القاموس العربى لثووزى.

٣- كتاب الأضداد. كتاب يبحث عن الكلمات التى تباين فى المفهوم، وهو مع اقتضابه نافع جدا. ومن إحدى مزايا اللغة العربية أنها تتضمن كثيرا من الأضداد، كالبيع للبيع والشراء، والصارم لليل والنهار، والمسيح للنبي والدجال. والكتاب مرتب وفق ترتيب حروف الهجاء.

« كتاب الذئب. في البحث عن كل الكلمات التي تطلق على الذئب، فهو يرمز إلى مزية أخرى للغة العربية، وهي أنها أوفر حظا وأكثر نصيبا من ناحية الترادف. ففيها للنور ٢١ كلمة وللظلام ٥٢ وللشمس ٢٩ وللبنر ٨٨ وللأسد أو النمر ٣٥٠ وللجمل ١٠٠ وللنافع ٣٥٥.

فكل هذه الكتب يشهد على ما كان للواضع من التمكن على اللغة العربية شهادة لا تنكر.

وأما اللغوي الثاني مجد الدين الفيروز آبادي، صاحب كتاب القاموس المعجم العربي الشهير. فهو إن لم يكن من أبناء الهند ولكنه زار الهند مرتين، وكان متمعا بالاعتناء الملكي. فنزل الهند المرة الأولى أيام الملك فيروز شاه تغلق (١٣٥١-١٣٨٨)، وأخرى أيام محمود الثاني تغلق. فالقاموس ليس مما يعد عملا هنديا ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر أو ينسى إبادي البلاط الملكي الهندي في إنتاجه.

واللغوي الثالث هو السيد مرتضى الزبيدي الهندي الذي ارتحل إلى الحجاز بعد ما تعلم في الهند، ثم سافر إلى مصر من الحجاز للتفقه والتضلع في المعارف والعلم. فكان أن طلع نجما ثاقبا فوق سماء الأدب العربي وكتب شرحا موسوعيا مستوعبا على القاموس، وسماه «تاج العروس» الذي بلغ من السمعة مبلغا فوق البحث والتعليق.

وعدا هؤلاء ثلاثة أخرى من اللغويين الهنديين الذين تمارسوا اللغة العربية ففضلوا، فمنهم:

عبد الرشيد التهموي واضع معجم كبير للكلمات العربية باللغة الفارسية بأمر من

سلطان شاهجهان وسماه منتخب اللغات، وهو متداول في الهند على وجه العموم. ومنهم عبد الرحيم الحصن پوری الذي تزعزع وازدهر أيام أفول نجم المغول، وتوفي قبل الثورة الهندية. وضع هذا القوي الجليل قاموسا مبسوطا، انتهى الأرب، في ثلاث مجلدات ضخام. يشرح فيه الكلمات العربية باللغة الفارسية. وقد نال هذا القاموس في الهند من الناس قولاً عاماً وأغلام من المعاجم الأخرى كلها. وأما القوي الثالث فهو المفتي سمد الله المراد آبادي، الذي وضع كتاب القول المانوس في صفات القاموس. فأمال الكلام على تقدير القاموس وتحسينه في ثمانية صفحات. ومع أن الكتاب لا يدخل حدود عهدنا المقروض علينا فإن الواضع توفي بعد السنة الرابعة عشر من الثورة الهندية. ولكن فضل الكتاب وجدارته تقاضى أن يذكر بها على الأقل بعض العاوين من أبوابه الخمسة والثلاثين. ليعلم السامعون منه أسلوبه ومزله.

الباب الأول في حياه الواضع وذكر سيرته. الباب الثاني في شرح اسم الكتاب. الباب الثالث في أعداد الكلمات المذكورة في القاموس بالضغط. فلم يكتف بمجموعة ما ورد فيه من الكلمات وإنما عدد كل باب على الأفراد بكلماتها الواردة تحته. ويقول إن القاموس يحتوي على ١٠٤٠٦ مادة، يذكر منها الصحاح ٥٧٧، وأما التي بقيت فهي الزيادات. الباب الرابع في وصف مختلف المخطوطات للكتاب. الباب الخامس في المصادر. الباب السادس في المقارنة بين الصحاح والقاموس. الباب السابع فيما يتعلق بشروح القاموس. الباب الثامن في المصطلحات الفنية. الباب التاسع في الاشارات والرموز المستعملة في القاموس. الباب العاشر في مزايا أسلوب الواضع. الباب الحادي عشر في الحواشي على المواضع المقدمة للثورة. الباب الثاني عشر في بيان الأغلاط. الباب الثالث عشر في النقد الخاطئ من الواضع على صاحب الصحاح. الباب الرابع عشر في ذكر الكلمات

التي وردت في الصحاح ولم يذكرها صاحب القاموس الباب الخامس عشر في ذكر المعاني لبعض الكلمات التي وردت في الصحاح وهي لا يوجد في القاموس الباب السادس عشر في التكرير الواقع في القاموس دون اللارم الباب السابع عشر في الامحار التاسع حد العموص في بعض المواضع الباب الثامن عشر في الرد على قد علف من الواضع

ولعل معاني هذه لا تكون نامة من دون أن تلحقها بذكر كتاب هم وضع في الهدى على أنه ليس قاموسا بكل معنى الكلمة ولكنه كمعجم للصطلحات الفقهية وهو كشف اصطلاحات الفنون، وضعه محمد علي الفارسي من بهانه يهون في مركز مطهر نكر في مصنف لفرس الثاني عشر وكما يدل عليه اسمه بحث عن العلوم العربية فموسمها كلها وقد طبع في مجلس بحث اسراف ١٢٠٢ As at Sox ١ B ٢٢١ هو عون كبر ككك المراجعة ولاساد

وهناك كتاب آخر من كتاب كشف اصطلاحات الفنون من قبله فليس هو مصححا لمفردات اللغة ولكنه كقصه لايصال بالعواميس على وجه العموم إنه قائمه للكشف، المؤلفات موسوم بـ كشف الحجب والاسرار عن اسماء الكتب والاسفار، لواقعه اغمار حسن الكسري عالم بارز من علماء الشيعة للفرس الثالث عشر وقد جمع فيه كل ما صنفه كتاب الشيعة ومحرروها مربا على حروف المعاء كمل الترتيب في كشف القلوب.

(٣- اللامع والبار)

من أم ما كتب في علم اللامع من الكتب المدرسه حتى يومنا هذا هو كتاب الفتاح، للسكاكي وكفاك تقديرا بمكانته في المتون ما كتب العلماء له من شروح فوق الشروح وحواش فوق الحواش في مختلف السلاسل التي تصل بينها بالادب العربي اتصالا مباشرا أو غير مباشر ولقد انضمت الادب العربي

وبالقافية العربية اتصالاً غير مباشر، نصيب أكبر وأكثر مما يرجى في مساهمتها في علم البلاغة التي لا تزدادها كلمة انكليزية غير أن نمر بالمصنوع. فنقول هو علم التكلم بالصراحة.

فأول عالم هدى، على ما يعلم كاتب هذه السطور، هو رضى الدين الصفاتى الهندى الذى كتب رسالة في علم العروض وسماها «مختصر العروض». وهى على إنجلزها تتضمن كل مبادئ العروض وإن مخطوطتها توجد في مكتبة برلين تحت رقم ٧١٢٧.

ثم يستقل الشاعر الحليل أمير خسرو، الشاعر الفارسى الكبير، غادر أبوه سيف الدين موطنه ماوراء النهر أيام جوكبير خان إلى الهند فزل بئلبالى موضعاً على مقربة من دهلى حيث تولى حاكمه عماد الملك، فولد منها أمير خسرو ١١٦٥-٥٦١هـ. وكان في فصل العمر قد تطلعت في دأته من تأثير الملكة الشعرية ومن الدكاء المهرط لدراسة العلوم بأصافها فوق العادة فأصبح له بذلك أسرع ما يمكن أقوى سمعة لشاعر، ألهم صحت لعالم في المجتمع ثم تيسر له الوصول إلى مجالس أمثال الملوك والأعيان بكل الفضل والشرف. وبابيع أمير خسرو في سلوكه مسالك التصوف على يد العارف الشهير «نظام الدين أولياء» الذى كان يخصه وبنهم به اتصالاً والتعاناً. وتمتع أمير خسرو بمصاحبة سبعة ملوك، محبياً لدى الجميع مكرماً بالحفاوة والاعجاب. وهو أكثر شعراء الفارسية في الهند وأجودهم وقد وضع عدداً من الكتب. وتوفى ١٣٢٤-٧٢٥ بعد ستة أشهر من وفاة شيخه العزيز عليه بكل ما لديه، وإن عقريته النادرة وكلماته المدهشة أملت عليه كتاباً في علم البلاغة ضمها سماء «عجائز خسروى». ومع أنه في اللغة الفارسية إلا أن

١- وقد أمير خسرو سنة ٦٠٥ قبل المأثور من أغلاط مطبوعة، وليس من يقول أنه مات في عمره ١٦٤ عام - للعرب.

واضح استشهد بالأمثلة العربية من عنده على كل ما أورد من الصنائع والبدائع، أنه ابتكر من الكلام وجوها جميلة، قدم منها البعض وهي من أجلى البراهين على أن الفكر الهندى عندما اعنى وتبسط لإية لغة، عربية كانت أو فارسية، احتفى بها، فلا يردده عن البراعة فيها أنها تعوزه أدوات من الاصطناع لتطرف أو تقاليدا مسرفة من التخيل والتشبيه.

وبما اخترعه «صنعة ترجمة اللفظ» وهي أن يأتي الكاتب بكلمتين مترادفتان من مختلفان لغة — كما في البيت التالى:

إذا دعا لطاياك أنجما، نادى « غدى النجوم كما في مسرة شادى

فالصنعة في كلمتين في الصدر «أنجما» (انجمن) «ونادى» وفي كلمتين في العجز مسرة، «وشادى» فكلمتا أنجما ونادى مترادفتان في المعنى أى المجلس ومختلفتان لغة، فأنجما كلمة فارسية ونادى عربية. وكذلك كلمتا مسرة وشادى مترادفتان معنى مختلفتان لغة، المسرة كلمة عربية وشادى كلمة فارسية، ولكن ماغنى به الناشد المعنى لفارسي إنما أراد به الفناء. فيقول إن النجوم أصبحت كالطيور الصادرة لدعوة نك إلى العطايا.

وصنعة أخرى طريقة من مبتكرات أمير خسرو «ذو وجين» وهي عبارة عن أن يأتي القريض بشعر يتضمن كلمات لو صرفت منها في بعض النقط أو قلبت أياها من القوارق لحولت الشعر إلى لغة أخرى كما ترى في البيت التالى:

رشيدى، نديدى، مرادى، نجائى « رمائى يياسى تبارى نساى

عنه صديق الرشيد وزميلي ومنينى ونجائى، رمئى مسابقة النساء إلى الياس.

لكنك إذا قرأته بشئ من التصرف في النقط ترى الشعر العربى قد تحول إلى

رسیدی، بدیدی مرا، دی بخائی، زمانی یاشی، یلری بشائی

- آی وصلت إلى ورائی النازحة فی دار، اجلس عندی برهة وإتک جدير بالرفقة.

ومن منكراته صفة . قلب اللسان، وهي أن تركب الكلمات في الشعر بنق
لو قرأناها من خلاف لوجدتک تلط بلغة غير لغة الشعر، مثلا:

صوب منك بم راك امك راى باب، شاب نم اب يشاهك اجره
فإذا قرأته من خلاف بحر على لسانك:

- يلى باركه ما كرمى كيم هم، هر جا كه باشى با من باش

ولمك بيت أن الشعر كلما ازداد اصطفاً ازداد تعقيداً وإتواءً، فقد كاد
البيت الأخير أن ينفذ معاه لضمه نظراً في الصناعة.

ثم أكبر الشارحين لأسرار البلاغة من الذين أنجبهم بلاد الهند هو العلامة
عبد الحكيم السبالكوئي، الذي وضع شرحاً وافياً على كتاب المطول، لسعد الدين
التفتازاني (والمطول نفسه شرح جامع للفناح للسكاكي) وقد طبع شرح السبالكوئي
في قسطنطينة حائزاً بالسمعة السائدة بين رجال العلم في الهند وفي تركيا.

وكان آخر السيد علي بن أحمد المعروف بابن المعصوم وقد عرفناه سابقاً
كواضع عدة كتب، منها «سلافة العصر»، وكتب ابن المعصوم هذا مدفوعاً
بملاحظة الماراة بديعة بعد ما طالع «بديعة» ابن الحجة وشرحه عليها. ثم شرحه
شرحاً مسهباً أوجزه فيما بعد، وسماه «انوار الربيع في أنواع البديع» (والبديعة
عبارة عن أشودة طويلة تذكر عن كل الصنائع والبدائع وأمثالها) وألحق كتاباً
ذكر نسخة كتاب من الذين وضعوا البديعات، وهم:

صفي الدين الحلي ١٣٥١-٧٥٢، شمس الدين ابن الجابر ١٣٧٨-٧٨٠، أبو جعفر

أحمد بن يوسف النرطلي ١٣٧٧-٧٧٩، عز الدين علي بن الحسين الموصل
١٣٨٧-٧٨٩، ابن الحجة ١٤٢٣-٨٢٧، ابن المقرئ ١٤٢٣-٨٢٧، السيوطي
١٥٠٥-٩١١، وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم الزبيدي المتوفى ١٥١٤-٩٢٠
بالتقريب، محي الدين عبد القادر بن محمد الطبري ١٦٢٣-١٠٣٣.

وأجدر بالذكر ختاماً هو الكاتب الخصب البارع وشاعر الهند الكبير في اللغة
العربية غلام علي آزاد الملقب بحسان الهند حقاً. فقد خصر الباب الثالث من
كتابه «سبعة المرجان» بيان محسنات الكلام وبذكر الصنائع والبديع بالبسط
والإسهاب. وكان كأمير خسرو مبتكراً في علم البلاغة عديداً من الاختراعات، وقد
أجاد فيما تقدم إلى الأدب العربي بعض ما أخذه من اللغة السنسكريتية
والهندية، فيقول في فاتحة الباب الثالث من كتابه المذكور:

«إن قديماً الإلهاند (الهندوس) الذين كانوا قبل زمان الإسلام
استخرجوا من الكلام بدائع وافية واستنبطوا من رشحات الأقلام
صنائع شافية، منها مشتركة بين العرب وبينهم كالتورية وحسن التعليل
..... ومنها مختصة بالهند. وأنا قصدت أن أقبل القم الأخير عن
الهندية إلى العربية، فرأيت بعضها لا يقبل النقل لخصوصيته بلسان الهند
وبعضها يقبل النقل. فنقلت عنها نبذة وجدتها فائقة وألحقت بمن
الأدب جملة راقية. وأرجو من العرب العرباء أن يستحسنوا مخترعات
الأملة كما استحسنوا الأسياف الهندية بين الفراند. ولما شمرت ذيل
الجهد في هذه الميادين وعمدت على استخراج الأمثلة من الجامع
والدواوين صنعت لي نبذة من الأنواع، وظفرت بأقراط ثمينة الأسماح.
فاخترت من الأنواع الهندية ثلاثاً وعشرين، وسميتها في العربية بأسماء
مكتوبة بمسايلها وهي التزهر واستخرجت أنا سبعا وثلاثين وهي

الفاؤل والنذر وأردت نوعا من مستخرجات أمير خسرو الدهلوى
وهو أو قلوب وغمابة أنواع قديمات وهى التدارك فصار
المجموع تسعة وستين ..

ولأن بلم القلدى حس البدائع المنقولة من اللغة السنسكريتية قدم هنا
نودحين :

١- راحة الجواب، وهى عبارة عن إعط غامض ملتبس فى الرد عن الأسئلة
المختلفة، والدلالة على الخفية بصيرت كم مثلا انكليزيا، فلو سأل أحد عن السمك -
لمادا لم يصطاد؟ وسأل آخر لماذا أنكروا هذا المثلث، فيكون الجواب، لم يكن
هناك أى الزاوية والشخص.

المعرب - لم امر الدكتور عما وصف به « براعة الجواب » تعبيرا صادقا
ممن تولى الجواب عن الأسئلة المتعددة بلفظة مشتركة كما قال عنها
صاحب السحرة المرحان، « لا أدري ما الذى دفعه إلى التبيان بالمثل
الانكليزى وأمسكه عن الابيان بما تقدمه الواضع من عدة أبيات، منها:
قالوا وما زينة اللان فتكن لنا وما الذى هو حلى العاشق الغزل
قلنا لم رين الله الوجود بكم تزين الغيد والعشاق بالحجل
الحجل ك إيل : الحللحال وحلقنا الغيد . ومنها :

رامت أميمة منى باخى رطبا والعالجه تبرا كان مختزنا
وغادة من جوارى المنحى عسلا . قفلت خذن وقاكن الاله جنا
الجنا : الرطب والذهب والصل .

٢- مخالطة الصدق بالكذب، وهى عبارة عن أن يملل أمر كاذب بأمر
صديق كقول أبى نواس :

وأخت أهل الشرك حتى أنه . لتخافك النطف التي لم تخلق
الامر الكاذب، خوف النطف التي لم تخلق من الممدوح، والامر الصادق إخافة
الممدوح أهل الشرك. فملل الأول بالثاني.

وبديع آخر يجدر بالذكر استخرجه أمير خسرو وسماه صاحبنا واضع سبحة
المرجان . يوقلون . ويصفه بأنه لفظ مشترك بين اللسانين أو أكثر ويأتي به
المتكلم بحيث يصح معنى الكلام عن اللسانين أو أكثر . وأردف يقول:
استخرجت أمثلة من القرآن العظيم . فنه قوله تعالى . ويأتينا فرداً . ضمير الفاعل
لعاص بن وائل أي يأتينا يوم القيمة منفرداً عن المال والأهل والعيال، معنى
فرداً بالفارسية غدا فالمعنى يأتينا غدا أي يوم القيمة ويرى ما وعدناه من العذاب.
وقوله تعالى . أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياء . الندي بالعرية المجلس
وبالهندية النهر ومعنى النهر صالح في الآية.

المعرب - يأتي الدكتور بعد ذلك بيتين لابن المعصوم في هذا الصدد. وهما:

وغادة من بنات الهند قد ظهرت . في زيبها بين أنجاف وأستار
قللت لما سرت في اللاذمات . يا حذ السير بل يا حذا السارى

وينسبها إلى صاحب سبحة المرجان . ولعل مصدر هذا الخطأ مخيلة الدكتور .
عندما قرأ هو العنوان المكتوب في سبحة المرجان: . وقول السيد على
معصوم نخلقت مخيلته بين السيد وعلى كلمة غلام ولم تزد أن تقرأ ما يتبع
اسم الشاعر . ولتأها فعلت فما أخطأت ولعلها قدمت لناظري كتاب صاحبها
بيتين آخرين لابن المعصوم عندما نزل بأرض . برار . من ديار الدكن . وهما:

نزلنا من برار بكل واد . وليس لنا بأرض من قرار
وقد كانت منازلنا قصورا . ونحن اليوم نزل في برار

يذكر الدكتور في ختام الكلام عن بديعة وضعها صاحب سبعة المرجان، ولعل القارى يوتر أن يقف من الحديث موقف من يسمع مباشرة بدل أن يلقى إليه مترجم ناقل. فما يحكى إلينا الواضع عنه في المقالة الخامسة من الكتاب عن قصيدته البديعة.

..... ثم مثبت على آثار أصحاب البديعات ونظمت قصيدة فائقة على أرطغرل الربيعات، وأحرحت من عمق اشعر غرر الدرر، وجددت البديع في المائة الثانية عشر. وأيات قصيدتي مائة وواحدة سالمة من تكرار القافية حافظة لمطالب الواقعة. وما التزمت فيها تسمية النوع، فلها قاطعة لطريق الوصول إلى العاقبة وسد دى القربين بين العشاق والغواني. وقد طالعت أربع قصائد بديعات مشروحات، هي حاضرة حالة التحرير: الأولى للشيخ صنى الدين الحلى، والثانية لابن حجة الحموى، والثالثة للعلوى، والرابعة للسيد على معصوم المكي وهو سماها أوار الريع في أنواع البديع وأورد فيها تسع قصائد بديعات، واحدة لنفسه والى في للشيخ صنى الدين الحلى وابن جابر الأندلسى والشيخ عز الدين الموصلى والشيخ بنى الدين ابن الحجة الحموى، والشيخ اسماعيل ابن المقرئ والشيخ حلال الدين السيوطى والشيخ حجة الدين العلوى النجوى والشيخ عبد القادر الطبرى. وهؤلاء اجماعة كلهم عرب عرّب، وأئمة أحلام. وأنا سلكت مسج تقليدكم وسللت المهبط نائيدكم. وربما جعل الضعيف فعل الأقوياء والنسيم العليل يفرح أمزجة الأحباء. والأدباء الككلاء. إن التفتوا هو غاية الاحسان وإن أعرضوا فهو تنبيه على الفصان.

❦ الكتب عن الادب ❦

الوضع والانشاء في هذا القسم كقرض الشعر، يقتضى لصاحبه النبوغ في اللغة والبراعة في الادب، وأن يكون ذا حظ أوفر من سلامة الذوق واتزان التفكير.

لهند على ما عرفت بما سبق مرارا ساهمت الادب العربي بما ساهمت دون
ن تكاتها الظروف وتساندها الاحوال، فقد يكون ما يتجاوز الحد أن تتوغلها
ساهمة في وضع الكتب الأدبية كما هي ساهمت في بعض العلوم التي لم تعارض
الظروف، ولكنها رغم ذلك كله قامت بواجبها تماما نحو هذا العمل الأدبي
بحث. وعلينا بالعناوين الستة التالية إذا أردنا البحث:

- الخطبات — ٤

- المختارات — ٢

- الرسائل — ١

- آداب عالية — ٣

- شروح مولفات شعرية — ١

- أساطير وروايات خيالية — ١

- الخطبات — ٤ -

١- لقد كثرت الخطبات في الهند وكثر كاتبوها، فها تستحق الذكر ما
كتبها الشيخ نظام الدين أشهر عارفي الهند المعروف بسلطان الأولياء ١٣٢١-٧٢٥.
كان عالما متضلعا فوق ما كانت له من المكان السامي في التصوف والسلوك،
بالت خطبته من كافة أنحاء الهند إعجابا عاما بما في أسلوبها الفصيح من بلاغة
بعل النفوس تضطرم بنار الحب الإلهي. وهي تقرأ حتى يومنا هذا في بعض
لساجد في الهند — وفيما يلي بعض القطعات منها الناطقة عن نقاوتها وفصاحتها:

الحمد لله الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته
أوهام الواصلين، ابتدع بقدرته الخلق ابداعا، واخترعهم على مثبته
اختراعا، وأنطق لسان الذاكرين بذكر لا إله إلا الله، وأودع مفاتيح
الانوار في صدور العالمين لا يعلمها إلا الله، وروح المشتاقين بروح اشتياق

في مشاهدة جمال الله . وأحرق دم المحبين سيف الجلال في بيده
وصال الله . وأحرق قلب العاشقين بار العشق في انتفاء لقاء الله . وخلق
الحنة والبار للؤمنين وللصغار ليجري الدين أسوأ مما عملوا ويجزى
الدين أحسن ما أحسن . فهو كانت الحنة نصيب العارفين بدون جماله
ووصاله هو به بلاه . ولو كانت النار نصيب المشتاقين مع جماله ووصاله
هو أشد قاه . .

إن رفعة هذه الأفكار . سمعنا في فصاحة أساليبها لا تحتاج إلى أي شرح ،
ولاسيما تلك الغزل الجميلة منها .

١٠ . كتب الشاه ولي الله الدهلوي بعض الخطبات . فمن أحسنها ما كتب
مقتبساً من سورة الدهر . فقال رحمه الله :

والحمد لله الذي خلق الإنسان . وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن
شيئاً مذكوراً . .

وضع الشاه هذه الخطبة بكاملها مرصداً بآيات سورة الدهر في نظم كلامه ،
لجانب خطبة حميدة تأت من الناس قولاً عاماً بين بلاد الهند .

١١ . وللمعلم البارع محمد اسماعيل حفيد الشاه ولي الله الدهلوي كذلك خطبات
عديدة معروفة في الهند . وكان من أشدها فرقة أهل الحديث . . وقد لعب
دوراً هاماً في الدفاع عن هذه الفرقة في الهند . فوضع في اللغة العربية والفارسية
والأردية مؤلفات كلها يحوم حول هذه الحركة المشقة عن المعتقد المستقرة على
التدقيق والتحذير . وأما خطبته فهي فصيحة الكلمات . جملة الأسلوب ، منعشة
المواطف والأحاسيس .

١٢ . وختاماً نذكر عن الكاتب المصري عبد الحى العالم البارز الذى وضع

كتباً عديدة عن العلوم الإسلامية في نواحيها المختلفة . فكتابه الموسوم بـ « اللطائف المستحقة » يجمع خطب شهور السنة . يتضمن من الخطبات ما يعادل عدد الجمع في السنة كلها . ومن مزايا هذه الخطبات عدا فصاحتها وأساليبها البديعة أنها موزعة على الشهور أولاً وعلى الجمع ثانياً . فتجد فيها لكل جمعة خطبة خاصة بموضوعها من التوصيات والتقاليد الدينية . وأما من ناحية أسلوب البيان فهي تقارن الكتب المنمقة المرصعة أمثال « أطواق الذهب » للزمخشري و« شرف الدين ».

(مختارات أدبيه - ٢)

١- من أئمن المختارات من الأدب العربى فى الهند كتاب « نقحة اليمين » فيما يزول بذكره الشجن . لمؤلفه أحمد بن محمد الينى المتوفى ١٨٤٠-١٢٢٦ . وكان موظفاً أيام التاليف عند شركة « إيست انديا » التى قامت وقعدت وراء تقدم اللغة العربية والعلوم الأخرى (بل وراء صالحها وصالحا من الأهداف - العرب) فى أيامها . وأحمد بن محمد الينى هذا يمت نسباً إلى عائلة من عائلات ممدان . خرج أبوه فى طريقه إلى الهند ليتصل بعمه العائش فى « بنارس » من قبل . ولكن من سوء حظه قبل أن يصل إلى الهند سابت إلى عمه ميتة . فقلق بما أصاب من الهم والألم وبما رأى من الجفوة والاهمال من بنى عمه . فقام قاصداً إلى لكناؤ حيث استقبله نواب آصف الدولة ورحب بالحفاوة والاكرام . فلبث هناك ما لبث ثم عاد إلى اليمين . وقد تزوج وهو عائد إلى موطنه بنت رجل سيد فى الحديدية . فكان أن ولد صاحبنا جامع « نقحة اليمين » . إنه قضى من أوائل عمره أعواماً فى الحديدية حيث تلقى من العلوم أصنافاً . وأتبع ذلك أن أتى إلى كلكتا وأصبح موظفاً فى كلية « فورث ولیم » كعلم اللغة العربية . وما هى إلا أيام قلائل حتى استقال عن وظيفته وحضر عند غازى الدين حيدر فى لكناؤ متعتاً بالتشريفات الأميرية . وعندما توفى غازى الدين ترك لكناؤ وخرج

يطوف مدن الهند ويوزر بلادها، حتى وصل بونا، وهناك توفي أيام ١٨١٠-١٧٧٦.
إنه وضع من الكتب المثورة عدداً توسط نثرها منظومات وأبيات. ومع
أنه كان مولده ولكن ظلت بلاد الهند على غالب الأحوال مسرحاً
لحركاته الانشائية ومركزاً للنشاط العلمي.

وانقد حذ المحررون المعاصرون والمتأخرون من العلماء هذه المختارات، وكفى
بها نقدياً أهم وأوطأ دافعة لدراسة الأدب العربي (في معناه الخاص) ككتاب
مدرسي المدارس العربية القديمة وبعض المعاهد الجديدة. وهي موزعة على
خمس أبواب:

الأول منها في "فصوص القصيدة والموارد الملحة".

والثاني في المصطلحات وفيها مصطلحات الرجز والورد ومناظرة المنجم والطبيب.
والثالث الثالث كما يقول الجامع، ويشتمل على مقاطع جيدة وقصائد رائعة
استحبها من الدواوين التي عثرت عليها وملك لمحاسن أياتها الآخذة بمجامع
القلوب. وفيها قصيدة للشاعر الهندي الكبير السيد غلام علي آزاد.

والرابع في القصائد اللامية الأريسة. الأولى منها لاسماعيل ابن أبي بكر

- ١- تم سميت بالموهر القرد، ومن تشج الأدب القنبر أبي الحسن الماردني - المغرب.
- ٢- ومن الوسوسة بحبة القيد، فكانت الخليل تشج محمد مومن بن الحاج قاسم الجزائري - المغرب.
- ٣- وهي التي أولها:

أدرك طلائعاً منك يكفيه وطردك الناصر المراض يشفيه
ومن بعض أشعارها:

كنت داني عن السدال عتدا ما كنت أدري تحول الجسم يشفيه
هاتون من مقام أنت منشاء ونحن من ضرام أنت موره
وحذا العيش لو يمشي على مقل نحن رطب من اللبن أسفيه
لواني فطمت أسكباد من منى رأيه في كال الحسن وقفيه
بها صرايح أكباد مظلمة فذلكن الذي لتفتق فيه

- المغرب

المقرى الزيدى، والثانية لصلاح الدين الصفدى، والثالثة لأبى اسمعيل الحسين بن على المعروف بالطبراقى، والرابعة لعمر بن الوردى.

والباب الخامس فى ضروب من الحكم والأمثال فظاً ونظراً.

٢- «رياض الفردوس»، وهو كتاب آخر من جنس المختارات جدير بالذكر. جمعه محمد حسين خان من شاهجهان پور المتوفى ١١٥٩-١٢٣٧. وهو ملخص موسوع فى ثلاث لغات: الفارسية والعربية والأردية. فالجزء العربى منه موزع بين بابين من النظم والنثر. ثم الباب المختص بالمشور من الكلام ينقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول فى رسائل العلماء، ترى منهم خمسة من أبناء الهند.

والفصل الثانى فى رسالة علمية للسيوطى تبحث عن مواضيع عديدة من ضبط الاملاء، والهجاء، ومن النحو والمعانى والبيان.

والفصل الثالث يقدم أمامك اقتباسات متنوعة من الكتب المعتمدة المتداولة التى تتعلق بالمعارف الاسلامية، تقرأ فيها رسالة عن التصوف للصوفى الهندى الشهير الشيخ فضل الله البرهان پورى.

والفصل الرابع يشتمل على عدة رسائل عن العلوم كالمنطق والفلسفة والرياضى والهندسة والطب والتشريح، ومن بين هذه الرسائل تجدد رسالة فى المنطق للعالم الهندى عبد الحق.

والفصل الخامس يذكر عن المختارات التى تبحث عن مبادئ المناظرة وعن دراسة النقد الادبى، تجدد بين هذه المختارات بعض ما وضعه كاتبان هندية. وهذه المجموعة من المختارات باتساع نطاقها واستيعابها المواضيع تشبه دائرة المعارف، وقد شهد بفضلها أمثال سعد الله المراد آبادى وتراب على ونواب صديق

حسن خان العلماء الاجلاء.

أجل ! إن الاحتيال ليس بالتوسع ولا بالابتكار . المختارات على كل حال مختارات . والجامع لا ياقه له في وضعها ولا جعل ولكنها تقود بالجامع إلى معرض الفن والعلم . ونقوم بدور في مصادر الاحتيال . كما قال التبريزي عن أبي تمام : وإن أماننا في اختياره أشد منه في شعره .

• الرسائل - ١ -

دعنا نبحث فيما بعد الكتب ، كتابه أحمد بن محمد النجدي صاحب دقة النجدي . هم كالمقدمة لصاحبه . الرسائل . لجمع الكتاب فيه الرسائل في أكثر موضوعاته . بل إن هذا أن يجعله سما صادقا لمسه . ويأمل أن يكون كتابه هذا كشاهد على حماسة الشديدة لتعمية اللغة العربية وتطورها بين بلاد الهند . وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول يبحث عن المراسلة رجال العلم والأدب .
والقسم الثاني في المكاتب مع السلاطين والوزراء والقضاة .
والقسم الثالث يذكر عن الكتابة إلى القائمين بأعمال تجارية .

وأما ملحق الكتاب فهو كالقسم الرابع له . يحتوي على رسائل عادية عامة التي تنوط بمسائل يومية . فترى كتابة هذه الرسائل حسب المستوى الشعبي متواضعة الأسلوب . متنازلة التعبير . وأما الرسائل الواردة في الجزء الأول فهي المكتوبات التي أرسلها الجامع إلى أصدقائه . وهي بطلاوتها في العبارات وتنميق الكلمات لا تحمل موضوعا غير استلام الجواب أو الإجابة عن عواطف ودية وانطباعات عميقة من المكتوب إليه . وإنها صيغت في أسلوب من الاصطناع صائغا يخيل إلى القارى أنها إنما وضعت ليتفاخر بها كاتبها ويتباهى بجدارتها الأدبية

الأدباء والكاتبين . وترى من بين هذه المكتوبات كتابا إلى العالم الجليل الشاه عبد العزيز الدهلوى فى نمط بليغ وأسلوب جميل . وهو يتضمن قصيدة ميمية يمدح بها المكتوب إليه . فرد الشاه عبد العزيز بما فاق الكتاب جمالا وبلاغة . مضيفا إليه بقصيدة نونية فى مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم . وقد أعرب الشاه فى رده إلى الجامع عن المرض الذى كان يشكوه بتعبير شجى مثير العواطف والاحزان . وقد استحسن قصيدة الجامع ولم ينكر فيها شيئا إلا أنها قيل فى رجل (يعنى نفسه) لا يستحق المزايا المذكورة فيها . وعلى كل حال فالكتاب تمتع نافع وأول من نوعه .

﴿ آداب عالية - ٣ ﴾

تكلما عن الذوق الهندى وميوله نحو الاصطناع فى الكلام . مشوره ومنظومه . عندما كان الحديث يدور بنا حول «سواطع الالهام» . ووجب شغب . فى فصل كتب التفسير . وها تذكر هناك ثلاثة كتب موضوعة بلزوم الصنائع :

١- «موارد الكلم وسلك درر الحكم» كتاب وضعه الكاتب البارع أبو الفيض فيضى . صاحب سواطع الالهام . وقد أسلفنا بذكره . وللكتاب ناحيتان : ناحية الموضوع وناحية الأسلوب . أما ناحية الموضوع فقد تكلما عليه فى فصل التصوف . وأما ناحية الأسلوب فنقول إن الواضع كتبه ملتزما الصنعة المهمة كاللزامه فى كتابه سواطع الالهام . ورتبه على خمسين «موارد» . بحث فيها عن المحاسن والفضائل من الأخلاق مقبلا من عدة مصادر . وترى اسم الكتاب يتركب بأحرف تدل بأعدادها على عهد وضع فيه أى ٩٨٥ من الهجرة . وبما لا ينكر أن فيضى بما آتى بهذا العمل الجليل قد برهن على كفايته بل سيطرته المدهشة على اللغة العربية وأدبها . وعلى ما يرى كاتب هذه السطور أن الهند هى وحدها من وضعت كتابا بكامله فى الصنعة المهمة . ويقال إن مولانا محمد صديق

اللاهورى المتوفى ١١٩٢-١٢٧٨ كان قد وضع كتابا فى السيرة النبوة، ملتزما على منه الصنعة قسما. قال واضع حدائق الحنفية، تعليقا على الكتاب: «إن الفضل يرجع إلى اللاهورى بكتابه هذا أكثر مما يرجع إلى فيضى بسواطه».

ومن الأسف أن المكتبات التى طبعت قائماتها لا تدل على وجود هذا الكتاب. وعلى كل حال هناك كتاب آخر من هذا الجنس فى مكتبة رامبور، وهو تفسير سورة يوسف الذى وضعه صاحبزاده على عباس خان. وقد ازدهرت أيامه أيام نواب كلب على خان حاكم رامبور. ولعلك لم تنس الكتاب الثالث من هذا الجنس الموسوم بـ «درود غوثية»، وقد مر ذكره فى كتب التصوف.

وأتم الكتاب التقدير كتبه بكراسين فى الصنعة المنقوطة، يتعذر على القارى أن يههما لما تحملان من الكلمات الغريبة ومن الأسلوب المسرف فى الاصطناع. وفيما يلى أمثلة من الكتاب تعلم من وصفه. فالموارد الأولى هى موارد الاسلام وهى:

«هللوا صوموا ودوروا حول الحرم مواسمه واكملوا مع الاحرام مراسمه
وأعطوا مالا مأمورا للصعلوك وهو الاسلام».

نرى من براعته وقفته أنه صور المبادئ الخمسة للاسلام من غير أن يأتى بحرف منقوط فى تصويرها، ثم استطرد منفصلا بكل واحد من هذه المبادئ الخمسة.
والموارد الثانية تبحث عن القرآن فتقول:

١- كلام الله امام أهل الاسلام ومدار حصول المرام

٢- كلام الله داما لا ساحل له وهو مصدر العلوم كلها ومودع الأسرار والحكم

٣- ورد، علوم كلام الله عدد كله

٤- ورد، أداته كما سموة

- ٥- رسول الله صلعم علم أداء كلام الله رحمته والرحمة علوا رهطا كسالم وعمر وعطاء ومسلم وطلوس والأسود وسعد وعاصم وما عداهم
- ٦- ورد، صدور الصور أسماء لها كالحمد وطه والعصر وما سواها
- ٧- أسماء الصور بما هو المسموع كهود ورعد، واسراء
- ٨- ورد لملك ملك وللصراط سراط، وورد طه مكسور الطاء والهاء رواء ولد مسعود.

وتتبع ذلك موارد علم الكلام، فوارد آدم، فحمد، فأصحاب النبي فأهل البيت فالأولياء، فالملوك. ثم يبحث الواضع عن كل فضيلة بالموارد المنفردة لها.

٢- المقامات الهندية، لواضعه السيد أبي بكر بن محسن العلوي، الذي نسجه على منوال مماثل من الكتب السابقة، ولا علم لنا بالواضع أكثر من أنه كان عربياً طال به المكوث في الهند. والعبارة التاريخية في ختام الكتاب تدل أنه وقع الفراغ من وضع الكتاب أيام ٧١٥-١١٢٨. ويقول الواضع في المقدمة الوجيزة للكتاب عن سبب التأليف أنه خرج يوماً من الأيام إلى بعض نزواته ومعه لمة من الأصدقاء متعلين وغير متعلين. فلما اتحوا إلى مكان وجلسوا مستريحين بدأ الواضع يقرأ من واحد من كتابي المقامات الحربية ومقامات البديع، وقد أتى بهما معه. فلم يرض ذلك بالطبع القاصرين في اللغة العربية وأدبها، واقترح منهم أحد على الواضع أن يضع هو كتاباً على شاكله هذه الكتب ولكن بأسلوب ساذج سلس، حتى يدرك القاري مفاهيمه دون أن يضطر إلى مراجعة القواميس. فأسرع الواضع بما رأى في الاقتراح فكرة معقولة إلى الانجاز بالعمل وقد فعل.

فالكتاب يشمل خمسين مقامة، كل مقامة منها سميت بمدينة من مدن الهند.

كقائمة سوربية وأحمد نكبة ولاهورية وحلم جرا. والذي لب دور عيسى بن هشام في المقامات الحزبية، ودور أبي زيد السروجي فيها هو أبو الناصر بن الفتح وأبو ظفر الهندي على الترتيب. وأما الحديث فيدور على قصص المواضيع المذكورة في المقامات الحزبية ومقامات الديع. والكتاب بأسلوبه سهل بسيط ما فيه من تطرف. لامن ناحية الإغلاق والتعقيد ولامن ناحية الإيضاح. ولم يكن مترجم المقامات الحزبية الأستاذ Cheverv على علم بهذا الكتاب، فقد ذكر في مقدمته عن الكتب التي وضعت على منوال الحريري قبل مقالاته وسدها. وليست مخطوطة المقامات الهندية. على ما يرى في مكتبة من مكتبات أوروبا. وهي طمعت في الهند أكثر من مرة طباعة حجرية. وتجد نسخة من الكتاب في مكتبة آذربا آفس.

٣- المقامات الجندرية. لأحمد بن محمد النجفي المذكور آفا. وكما يرمز إليه الكتاب أهدها الواضع إلى غازي الدين الحيدر ملك دولة أوده. وكان قد تمتع في حاشية أعياه أياها كضيف للملك، محترما بكل حفاوة وإكرام. فلما عاد إلى كلكتا كتب هذا الكتاب اعترافا بالجميل، ووزعه على ثمانية أبواب:

فالباب الأول في راقته وصفحه وصيره وحله. والباب الثاني في جوده وكرمه. والباب الثالث في مناسبة جلوسه على العرش وبساتيه. والباب الرابع في تدبيره وبلاغته في الكلام. والباب الخامس في وزرائه. الباب السادس في مبادئه. الباب السابع في بساتينه. الباب الثامن في مدهشات وأعاجيبه.

وزيادة على هذه الأبحاث المذكورة فالكتاب ملآن بالنوادر المتنوعة من التاريخ والأدب والطرف الرائعة المطربة منها. وموضوع من بدايته حتى نهايته على مبدأ الشيء بالشيء يذكر. وكان أن استشهد الواضع في حديثه بكتيب أرسله وزير الملك إلى صلاح الدين، قدس يصف بحمل أحوال الدولة الأيوبية،

ثم أتى بذكر عدة ملوك كانوا أدباء كتّابين متعلمين في الكتابة والادب. وعندما بدأ بالحكاية عن قصر الملك في لكتاؤ وصف عديدا من المباني الفخمة الشهيرة في العالم، ومن المدن الجميلة المعجبة بها والمدمثة.

وعلى ذكر القط نقل الواضع رواية طريقة عن القروي الذي قبض على هذا الحيوان ولم يره في حياته أبدا. فصادفه في طريقه قروي آخر سائلا ماذا تريد بهذا السنور؟ ولم يتقدم في سبيله إلا بضع خطوات حتى كرر عليه رجل آخر نفس السؤال. وقصارى الكلام أن القروي لقي بوجيز من الوقت سبعة رجال كلهم سئلوه معبرين عن القط بسبعة أسماء مختلفة. فدار بجلد القروي أن هذا الحيوان الصغير لا شك ثمين. فأتى به إلى السوق للبيع، وقال للناس عندما سئلوه الثمن: مائة درهم. فضحكوا وقالوا إنه لا يصلح ولا درهما. فأدرك القروي الحقيقة ورمى بالقط وهو يقول: لعنة الله! ما أكثر أسمائه وما أقل ثمنه.

ولم يقتصر الواضع عند الذكر عن بساين الملك وحدائقه دون التقصى عن ما كان فيها من الأزهار والأثمار من كل ضرب ولون. ولكنه أنشد أبياتا يصف بها تلك الأزهار والأثمار بالمناسبات الجديرة ويمدحها بالأوصاف الانيقة. وعند الكلام عن أفيال الملك وأفراسه يذكر حكاية نادرة عن فيل ملكى. فيقول إنه بلغ من التريّة والاستيناس حتى كان يبكي في عشرة أيام الأولى من شهر محرم الحرام كالرجال، رثاء لما نزل بسبط النبي صلى الله عليه وسلم. فأنشد الواضع القطعة الآتية من الآيات كأنه ينقل عن فم الحيوان الآخرس:

• وا حسينا وا حسينا وا حسين •

إن كربى حاج فيما قد جرى فى كربلا • للحسين السيد المولى إمام الأتيا
من طاعة عاتقوا أحكام خير الاتيا • وأذاقوا أهل بيت المصطفى مر العنا

• آه من جور الصدى وا حسينا وا حسين •

• شتروا شمل الهدى وا حينا وا حين •

وهكذا نجد كل باب من أبواب الكتاب مملوياً بالتحويلات الممتعة والتقلبات المتنوعة من البيئات والحجج المتصلة بعضها بعضاً. فأصبح الكتاب بذلك نافها بروق الباطن.

(شرح مولعات شعرية - ١)

• مصدق المفضل، كتاب وضعه شهاب الدين الدولة آبادى المذكور عنه فى كتب النحو، فى شرح القصيدة الشجرية «بانت سعاد»، وهو من الكتب التى تستحق الذكر تحت هذا العنوان، ولا يخفى أن القصيدة هذه قد شرحها عديد من العلماء كعوف الدين عبد اللطيف المتوفى ١٣٣١-٦٢٩، وابن الهشام المتوفى ١٣٥٩-٧٩٠، وابن اللحي ١٣١٥-٧٩٠، والسيوطى ١٥٠٥-٩١١.

فشارحا الدولة آبادى بدأ كتابه بنزدة من سواح صاحب القصيدة، وذكر المبتدئ ونوعه فى الملكة الشعرية. ثم شرح القصيدة بأسلوب عال، بحث فيه أولاً عن اللغة والصرف والنحو، ثم المعانى والبيان والبديع فالمعروض، واختتم البحث بخلاصة البيت ومغزاه، وقد تعرض فى البيت الأول للقوافى وكفى. وهذه الحقة الممتازة البالغة أقصى الفحص والبيان فى عملية شرح الكتاب كما لا يخفى ليست مبسورة المثال.

(أساطير وروايات خيالية - ١)

• قصة شكرونى، وهى رواية من نوع أساطير خرافية تستحق الذكر هنا تحت هذا العنوان. وهى تدور حول احتلال المسلمين بداية الأمر فى طليار أيام شكرونى، ملك «كرزكا نور»، وكان قد عاصر النبي واعتق الاسلام بمعجزة نبي القمر. ولو أن الذى وضع القصة غير معلوم إلا أنه أحد من أهالى الهند

بالقطع. فالمؤلفات الباحثة عن مليار كـ «تحفة المجاهدين» و «فتح المبين» كلها من وضع الأهمالي. وأكثر من ذلك أن موضوع الرواية يدل على أن لا يصلح للكتابة عنه إلا أحد من سكان مليار. وتجد مخطوطها الوحيدة في مكتبة انديانا آفس.

وأما القصة فبالاجمال أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما نزلت الآية «وانذر عشيرتك الاقربين» دعى إليه عشيرته وأصحابه وعرض عليهم الاسلام. فما آمن منهم بهذا الدين الجديد إلا قليل، وتولى أكثرهم مدبرين، وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم. فذهبوا إلى حبيب بن مالك، وكان سلطان المدينة في تلك الأيام، والتمسوا منه أن يشد إزرهم وينصرم ضد النبي الجديد في ضلاله الديني. فقام الملك بأربعة آلاف من الفرسان قاصدا مكة، ونزل على مقربة منها، ثم تفكر ودعى المشتكين إليه وقال لهم. إنه يرى من الخير أن نسل محمدا معجزة لا يستطيعها. وعليه أرسل من رجاله وراء النبي صلى الله عليه وسلم. فلم يكذب يخرج النبي من داره واذا بجبريل قد أتاه وأخبر بالأحوال كلها. فذهب النبي إلى الملك وهو يعلم بكل ما سيحدث. فلما دخل عليه اضطر الملك أن يقوم له إجلالا رغم نخامته. فسأله الملك بعد التحيات العادية: هل لك أن تحصل القمر، واليوم يوم خامس من الشهر القمري، أن يطلع كاملا من وراء جبل بوقيس، وينطق إنك لآنت الرسول، ثم ينزل من السماء ويدخل ككك الايمن ويخرج من الكم الايسر، فيشق سويا فيعود النصف الاول إلى المغرب ويرجع النصف الثاني إلى المشرق، وختاما ينقلب إلى البدر التمام كرة أخرى في كبد السماء؟ فلما أتى النبي بالمعجزة على وجه المطلوب أسلم الملك بفرسانه أجمعين وطاد إلى دوله.

حدثت هذه المعجزة في مكة ولكنها رؤيت في قس البلة في الهند، ربنا

الملك شكروني، فأمر الكهنة والمنجمين حتى حضروه. فرض عليهم هذه الأعباء
ووسع لهم مجال أربعين يوماً للإيضاح والتليل. فلما انقضى الأجل المحتوم ولم
يأت أحد لتجبة الأمر، فرأى الملك في منامه النبي، الذي بين المنظر حتى اطمأن
الملك. وهذا المنام هو الذي جعل الملك الهندي يحب النبي حبا صادقا.

واتبع ذلك أن نزل عاصمة الملك هو من اليهود والنصارى من مكة ورهط
من رحالة المسلمين، قاصدين سيلان لزيارة جل آدم. وكلهم شهدوا على أن
اشق القصر. فلما عاد المسلمون من سيلان راقهم الملك سراً إلى النبي واعتق
بالإسلام على يده. فسمي النبي سلطان تاج الدين الهندي. فلما علم بذلك
الملك حبيب ابن مالك ارتحل إليه وزاره. واستقام عرى الصداقة بينهما. فاتفقا
بعد برهة من الزمان أن يعودا إلى الهند، ولكن عندما وصلوا الميناء فأجأ
الملك الهندي المرض واشتد به. فأوصى إلى رفاقه أن لا يحول دون مضيم
موتى. وكتب لهم إلى وزرائه توصيات ليوسموا لهم عند وصولهم كل نطق.
فواصل القوم رحلته حتى وصلوا المنزل. وهناك وجدوا من الوزراء والأهالي
كل استقبال وزجيب.

14 JUN 1955

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الخامس	ديسمبر سنة ١٩٥٤	العدد الرابع
---------------	-----------------	--------------

محتويات هذا العدد

صفحة

١٦

الدكتور زيد أحمد

٢ إلى الأدب العربي

↑
الموضوع

إلى الأدب العربي

تعريب عبد الحميد نعماني

للدكتور زيد احمد

من الشعر العربي

كثيرون من قرضوا الشعر العربي ولكن ليس لنا بذلك أن نأمل فيهم أنهم بلغوا في هذا القسم من الأدب أكبر درجات أو أكبر تفضيل. فقد بدأت الهند بدراسة العربية والاعتناء بها أيام أن فقدت بلاد الناطقين بها نفسها من الشعر العربي روعته وطلاقة. وكان من أقصى الاجادة وأكبرها عند شعراء الهند أن يأتوا بالكلمات المنمقة والتعابير الزاهية الجميلة ولا غير.

والشعر العربي، نشأ في الهند ونمي ثم ترعرع وازدهر شأن الشعر الفارسي تحت ظل من تعصيدات الملوك، وشغف الأنجال، وتقدير من الأعيان والأمراء على غالب الأحوال. وحيث كان ملوك الهند المسلمون ناطقين بالفارسية فبالطبع كانوا أكثر متعة وأوفر حظا بالشعر الفارسي. وبما أن الشعر العربي عدم اتصال الحكم والاعتناء الملكي، ولم ينل من أعيان الدولة تعصيذا ولا من أمراء البلاد تشجيبا كما نال الشعر الفارسي، فقد قل قارضوه وضاق نطاق نشاطهم الأدبي، مع أن حكومات كجرات وملوك دكن، دعت ودعوا القطر العربي أن يبعث إليها وإليهم بشعره وعلائه، فلا نجد من شعراء العربية إلا ما يعد على البنان ولا نقرأ في التاريخ عنهم غير الذكر عن وجود البعض في حاشية الملوك، دون أن نعلم منهم الأسماء والأحوال - وأما الشعر الفارسي فقد اتسع له المجال ورجت به الدار، فكثرت الوفود من بلاد الفرس إلى الهند من الشعراء والعلماء.

نعم إن الأسرة العيدروسية القاطنة في أحمد آباد التي كانت على اتصال بالقطر

الجنوبى من البلاد العربية قد دعت فى بداية عهدها عديدا من العلماء والشعراء وإنك تقرأ فى كتاب « نور السافر » عن أحوال أمثال هولاء الشعراء ولكنهم لم يلبثوا فى الهند إلا أياما معدودات ثم عادوا أدراجهم . ولا شك أن مليبار أنجبت من الشعراء ، وكانت ولو حقبة من الزمان ، للعربية مكان شمال الهند للفارسية ولكننا لا نعرف منهم غير محمد بن عبد العزيز الذى قرض المتنوى العربى الموسم « بالفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين » وستكلم عنه فيما بعد .

وهناك شعراء عربيون آخرون الذين اتخذوا الهند لهم مستقرا كابن المعصوم وأبيه نظام حسن بن شادكام واضع كتاب « زهر الرياض » وأولاده . فهولاء كلهم كانوا متصلين بالبلاط الملكى إما فى گجرات وإما فى دكن . وتجد فى كتاب « سلافة العصر » من أحوالهم وأشعارهم على وجه الاجمال .

ونقدم فيما يلى الشعراء الذين برزوا فى الشعر العربى وامتازوا ، طبق أدوار التاريخ وعاشوا فى الهند أهالى كانوا أم أجانب .

فأقدمهم مسعود بن سعد بن سلمان ، ويعرفه الناس شاعرا فارسيا أكثر من قارض عربى ، وكان من أهالى همدان ، وإن أباه قضى من عمره ستين عاما فى حاشية ملوك غزنة مشغلا فى لاهور بمراكز هامة ومناصب عالية وفى غيرها من مدن الهند . ولد مسعود هذا فى لاهور وتربى هناك وتعلم ، فكان عالما باللغتين العربية والهندية فوق براعته فى اللغة الفارسية ، وقد ترك وراءه ديوانين لأشعاره العربية والهندية ، ومن الأسف أن لعبت بديوانيه أيدى الضياع — ولا يخفاك ان « وطواط » أورد من أشعاره فى كتابه « حديقة السحر » .

إن شعراء الفارسية والهندية هم كانوا أكثر إعجابا بالصنعتين « التورية » ، و « الأيهام » وقد راعى ذلك مسعود فيما قال :

وليل كأن الشمس ضلت بمرها . وليس لها نحو المشارق مرجع
 فظرت إليه والظلام كأنه . على العين غربان من الجو وقع
 فقلت لقلبي طال ليلي وليس لي . من الهم منجاة وفي الصبر مفرج
 أرى ذنب السرحان في الجو طالعا . فهل يمكن أن الغزاة تطلع
 فاثورية في ذنب السرحان والغزاة.

ثم بطلع علينا أكبر من أنجبهم الهند من شعراء الفارسية . أمير خسرو ، وكل
 سمته تعود إلى شعره الفارسي . وكان يقرض بالعربية كذلك ، فكم من أبيات عربية
 له في كتابه . إعجاز خسروى . المذكور فيما سبق ، وكم من أشعار عربية له في ديوانه
 وفي كتابه . خزانة الفتوح . . وقد عرفنا بما مضى أنه كان ولوعا بعلم البلاغة وقد
 اخترع بدائع شتى . وأنشأ قصيدة صدور أبياتها فارسية وأعجازها عربية ، وإنه
 اعترف في مقدمة ديوانه المعلنون بـ . غرة الكمال ، أنه لا يبلغ في الانشاء العربى
 درجة تذكر وقال عن الشيخ شهاب الدين أنه شاعر هندي جليل يفوق مستواه
 الأدبى شعر الفرزدق والجرير ، وهذا شهاب الدين بما وصفه أمير خسرو قلما يعرفه
 الناس . وقال شبل النعمان عنه في كتابه . شعر العجم . إنه كان أستاذ الأمير خسرو .

وفما بلى أبيات من قصيدة قالها أمير خسرو يمدح السلطان علاء الدين أيام

١٢٩٥ - ١٣١٥ بعد التشيب :

في مهجنى سكنت محبتها كما . مدح الملك المستعان الأعظم
 أعنى علاء الدين سلطان الورى . ملكا تولد من سلالة آدم
 عين الحيا بل عينه عين الحيا . يم الندى بل كفه عين اليم
 من جوده الفياض قد يحكى إذا . نعب الغراب على رميم الحاتم
 ما كان يعطش سيفه بقرابه . إلا ويسقى من كؤوس جماجم
 رشح لمدحتك العلية خسروا . بالشعر ليس كمثل في العالم

كن بالخلود على الأرائك قاعدا • فانا أخصك بالبقاء الدائم

ثم الشيخ نصير الدين الملقب بـ «جراغ دهلوى»، وكان من أتباع الشيخ الشهير
نظام الدين أولياء. فن أشعاره ما قال عن أستاذه شمس الدين يحى يمدحه :

سألت العلم من أحياءك حقا • فقال العلم شمس الدين يحى

ثم نستقبل القاضى عبد المقتدر الذى كان تلميذ الشيخ نصير الدين المذكور
آنفا، وأستاذ شهاب الدين الدولة آبادى وكان شاعرا مجيدا أنشأ قصيدة على منوال
لامية العجم كما كان عالما متضلعا، فن قصيدته أولها :

يا سائق الظعن فى الأسفار والأصل • سلم على دار سلى وابك ثم سلى

ولا يخفأك ما فى البيت من • التجنيس، و «مراعاة النظير»، و «الاشتقاق»،
و «التضاد»، — ومن أبيات القصيدة :

عن الظباء التى من دأبها أبدا • صيد الأسود بحسن الدل والبحل
أضحت إذا بعدت عنها كواعبها • أطلالها مثل أجفان بلا مقل
فدى فوادى إعرابية سكنت • يتنا من القلب معمورا بلا حول
بخيلة بوصال المستهام بها • والجود فى الخود مثل البخل فى الرجل
خيالها عند من يهوى زيارتها • أحلى من الأمن عند الخائف الوجل
كيف السيل إليها بعد أن حفظت • بالبيض والسمر فى أعلى ذرى الجبل

(المعرب) يذكر الدكتور بعد ذلك عن العالم الجليل والشاعر الكبير أحمد

تهانيسرى وقد ذكره صاحب «سبحة المرجان»، فقال :

«هو عالم يشبه الآلى تحريره، وشاعر يحكى السلسال تقريره، المقتبس للنور

المعنوى، والمريد للشيخ نصير الدين الأردى الدهلوى قدس سره. ولما أخذ
الأمير تيمور دهلوى، وسمع نبذا من فضائله، وشم عرفا من صنادله، رغب فى الملاقاة

وتنطش إلى الموافقة. وبعد ما عاينه متحلياً بفضائل أبيه من النجوم الزاهرة
ومتصفاً بشمائل أعطر من الأزهار الناضرة. اختاره للجلاسة واصطفاه للوائسة.
وحين توجه الأمير من الهند إلى الروم. تأخر مولانا (أحمد) عن مواعده العازم
إلى أقصى التخوم. ولما عاد الأمير تيمور من الهند. ولم يبق روثق دهل على
حاله. وتجاوز السج عن منوالها. هاجر مولانا أحمد من دهل إلى كالي. وقطن
هذا المصر الجامع واشتغل بتدريس العلوم. واستغرق في عبادة الحى القيوم إلى
أن انتقل إلى أشرف الحضرات وارتقى إلى أرفع العتبات. ودفن في داخل قلعة
كالي. وله قصيدة دالية بها هذه الآيات:

أضار لى حين الفلأثر الفرد • وهاج لوعة قلبى التائه الكمد
وادكرتنى عهود الحى سلفت • حمامة صدحت من لاعج الكبد
بانت تورقى والقوم قد هجموا • ما بين مضطجع منهم ومستند
ما زار طرفى غمض بعد بعدكم • ولا خيال سرور دار فى خلدى
ليت الهوى لم يكن بينى وبينكم • وحبلى كان فىنا غير منعقد
كانت لنا لب أيام وغرتها • وئت سراعاً على رغى ولم تعد
كأنه لم يكن بين الحى أنس • إلى اللوى وكأن الحى لم تفد
لا عيش بعد ليلات الهوى رغدا • ولا وصول إلى ذاك الحى يدي
خل الأحاديث عن لى وجارها • وارحل إلى السيد المختار من أدد
محمد أحمد الهادى لأمتيه • إلى الصراط صراط غير ملتحد
بر، رؤف، رحيم، سيد، سند، • سهل الفناء رحيب الباع والصفد
أفديك بالروح والقلب المشوق معا • والنفس والمال والأهلين والولد
قد علقى البعد عن مرمى أوامره • وطال شوقى إلى لقاءك يا سندی
أرجو الوفاة فى أرض حلت بها • يا لطف قسى إذا ما كنت لم أفد

عظفا على ورقها بي ومرحمة * فليس غيرك يا مولاي ملتحدى
يا رب صل وسلم دائما أبدا * على النبي نبي الحق والرشد
وصحبه وذويه الطاهرين ومن * أحبهم شغفا في الغيب والعنف
ما لاح برق وما سح الغمام على * ربى الفلا فكساها حلة القند
وما تغرد غريد على فنن * غص الأرومة مخضل وملتبد.

وأجدر بالذكر بعد ذلك الشاه أحمد المتوفى ٩٢٨ — ١٥٢١ من چنديرى فى مالوه
وكان شاعرا. وفيما يلي بيتان له ردا من الأشاعرة إلى الزمخشريين.

عجبا لقوم الظالمين تلقبوا * بالعدل يا فيهم لعمري معرفه
قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفي الصفه

ثم يستحق الذكر محمد بن عبدالعزيز كالكوتى (من مليار) الذى عاش فى
المنتصف الثانى من القرن العاشر الهجرى، وكان شاعرا ولا نعلم عنه غير أنه كان
من أسرة «معبر» العلوية، وأن أخاه زين الدين وضع كتاب تحفة المجاهدين المذكور
فيما سبق، وأن أباه عبد العزيز كان قاضيا. وقد روى على المتقى عن عبد الحق
الحقى فى كتابه «أخبار الأخيار» أنه لقيه وقدره أحسن تقدير، وكان جده عالما ذا
خبرة، وضع رسالة منظومة فى التصوف والسلوك، وسماها كما ذكرنا عنها فيما سلف
«هداية الأذكياء»، وأما محمد بن عبد العزيز الشاعر الذى تتكلم عنه، فقد وصف فى
أنشودته كل ما وقعت بين «سامرى» و«برتكيز» من نضال وقتال، وهى طويلة تستغرق
خمسائة وثلاث أراجيز سميت بـ «الفتح المبين للسامرى الذى يحب المسلمين». وإن
مادة هذه الأنشودة هى نفس مادة كتاب تحفة المجاهدين بمزىة النظم والنثر،
والأخوان كانوا معاصرين لكل ما حدث. وفى مكتبة «إنديا آفس» بلندره نسخة
خطية لهذه الأنشودة فريدة. ولعلها لا تحمل من ناحية المغزى ما يحتفل به ولكنها
على كل حال تملك من القرض جدارة، فهى من أولها إلى آخرها فى منتهى

الباطة وغاية الفصاحة. وما تقدم منها هنا بعض الآيات لتعلم من نوعها. يقول
الناشد بعد الحمد والصلاة:

فان هذه قصة عجيبة . في شرح حرب شأنها غريبة
واقعة في خطة المليبار . ومثلها لم يجر في تلك الديار
بين المحب المسلمين السامري . وبين خصمه الفرنجي الكافر
نظمت بعضها ومالك الملوك . يسمع القصة سائر الملوك
لعلهم إذ سمعوا يفكرون . في الحرب أو لعلهم يعتبرون
لعلها تسير في الآفاق . لا سيما في الشام والعراق
وليعلموا الهمة للسلطان . السامري المشهور في البلدان
صاحب كالى كوث المشهورة . لازال من فضل الغنى المعمورة
وهو محب ديننا الاسلام . والمسلمين بين ذا الأنام
ناصر ديننا ويجرى شرعنا . حتى بخطبته على سلطاننا

ونلتقى بعد ذلك السيد على خان ابن المعصوم أيام ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م الذى
كان شاعرا مجيدا، وبديعته هي أثمن مساهمة للادب العربى وأغلاها في علم المعانى
والبلاغة، وله شرح لكتابه «سلافة العصر» يذكر فيه عن بعض أشعاره.

(المغرب) قد يكون ما ذكره صاحب «سبحة المرجان» عن السيد على في غير
المحل ولكنه لا يخلو من المتعة والتاريخ، فإليك بما قال.

«هو من مشاهير الأدباء وصناديد الشعراء، يته بشيرازيت العلم والفضل والمدرسة
المنصورية بشيراز منسوبة إلى جده، المير غياث الدين منصور، وهو مشهور مستغن
عن البيان، والسيد على منسوب إلى جده القريب واشتهر بالسيد على معصوم.
روى أنه لما أرادت أخت شاه عباس الثانى الصفوى زيارة الحرمين الشريفين

أمر شاه عباس السيد معصوم بذهابه مع الأميرة ليعلمها مناسك الحج. ثم لما وقع التعليم والتعلم في أثناء الطريق، وكان هذا الأمر لا يتحصل من وراء الحجاب على وجه ينبغي، وقع في خاطر الأميرة أن الكفوية ثابتة فلم لا ينقذ النكاح، وترتفع حيلولة الحجاب فانهقد النكاح. وبعد ما تشرفا بزيارة الحرمين المكرمين رأيا رجوعهما إلى الاوطان متعذرا مخافة شاه عباس، فتوطا بمكة المشرفة وولد له من بطن الأميرة السيد أحمد، نشأ بمكة واكتسب العلوم وفاق الاقران، ولما أودع الله تعالى طالعه صعودا، هيا سبيه وهو أن المير محمد سعيد المخاطب بمير جملة وزير السلطان عبد الله قطب شاه والى حيدر آباد من بلاد الدكن أرسل مالا كثيرا إلى السيد أحمد والسيد سلطان من سادات نجف وطلبهما إلى حيدرآباد، وكانت له ابنتان فأراد أن يزوجهما بالسيدين، وكانت للسلطان قطب شاه أيضا ابنتان فقال السلطان أنا أحق بأن ازوج ابنتي بهذين السيدين النجيين، فغضب مير جملة وارتحل إلى السلطان أورنگ زيب عالمكير، وزوج قطب شاه إحدى الابنتين بالسيد أحمد، وهما الأسباب لتزويج الابنة الأخرى، وكان على خاطر السيد أحمد غبار من السيد سلطان، وكان هو وزوجته لا يبغيان أن تزوج ابنة السلطان بالسيد سلطان فلما جاءت ليلة النكاح أرسل السيد أحمد رسولا إلى قطب شاه، وقال له إن وقع تزويج السيد سلطان فانا أشمر ذيلي على مخالفتكم وأذهب إلى السلطان أورنگ زيب عالمكير وأسعى في هدم مباني دولتكم، وشد الرحال وعزم على الارتحال، فتحير قطب شاه وجمع أركان الدولة وشاورهم ما يفعل فتقرروا أن السيد أحمد إن راح إلى السلطان عالمكير تقوم فتنة عظيمة، ولا بد أن لا يزوج السيد سلطان. ولما كانت أسباب التزويج مهيأة وتضيع في التأخير اختاروا أبا الحسن للتزويج، وكانت له قرابة بعيدة من قطب شاه، وكان أبو الحسن في ذلك الوقت جالسا في تكية بعض الدراويش، فطلبوه وأرسلوه إلى الحمام وخلصوا عليه خلعة العرس وعقدوا النكاح وخلوا عن المدافع أغنى الآتواب على مناباتهم

والسيد سلطان جالس في حمامه لا اطلاع له ولا للحاضرين عنده على ما صنعه الأقدار، فوقع السيد سلطان في الاستفسار لما خلوا عن المدافع فقال الحاضرون بالقياس الوجه ظاهرة ان الليلة ليلة الزواج، فقال السيد سلطان الضابطة أن المدافع يحل على بعد عقد النكاح فكيف خلوا عنها قبله؟ وأرسل أناسا للاستخبار فرجعوا وأخبروا بما أصرروا فاشتعل السيد سلطان في الحمام غضبا وأحرق الأسباب التي هبأها للزواج وعقر الأفراس وراح إلى سلطان عالمكير، هذا وما جاء للسيد أحمد من أبة قطب شاه ولد وتزوج قبل خروجه من مكة إلى الدكن بمكة وتولد السيد على بالمدينة المنورة وتركه والده في مكة حين سافر إلى الدكن، هذا وما حررته من ترجمة السيد أحمد سمعته عن بعض الثقات، ثم وردت حيدر آباد سنة خمس وستين ومائة وألف وأقيمت السيد أحمد المشهور بجبال صاحب بن السيد منصور بن السيد أحمد بن السيد معصوم وطلبت منه ترجمة السيد على معصوم فأخرج من كتبه نسخة فيها شيء من ترجمته وصورة ما في السفينة هذه، ولد سيدنا ومولانا السيد على صدر الدين بن نظام الدين أحمد الحسيني الدشتكي ليلة السبت عند غروب الشمس خامس عشر من جمادى الأولى سنة اثنين وخمسين وألف بالمدينة النبوية على ساكنها الصلوة والسلام، وخرج من مكة المشرفة ليلة السبت لست خلون من شعبان سنة ست وستين وألف وكان وصوله إلى كلكتده (كول كندة) قلعة حيدر آباد يوم الجمعة ثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وألف وخرج من حيدر آباد ليلة الاثنين ثاني عشر من شعبان سنة اثنين وتسعين وألف، انتهى ما في السفينة.

ولما مات السلطان عبد الله قطب شاه وتملك أبو الحسن وتوفي السيد نظام الدين أحمد سعى أبو الحسن في اتلاف أخلاف السيد أحمد وعين حراسا على بابهم منعوا عن الخروج والدخول فهرب السيد على عن الأسر وأرسل أبو الحسن في

طلبه أناسا فجدوا فيه ولم يلحقوا به وإليه يشير السيد على بقوله :

وهوا الجياد السابحات ليلحقوا • وهل يلحق الكسلان شاو أخى الجد
فساروا وعادوا خائبين على وجى • كما خاب من قد بات منهم على وعد

أثبت السيد على هذين البيتين فى نوع الاستتباع من كتابه أنوار الريع فى أنواع البديع . ولما خرج السيد على عن الأسر جاء إلى السلطان عالمكير بدار السرور برهان پور فعطف عليه السلطان وأعطاه منصب « هزار وپنصدى » وثلاث مائة فارس كل واحد منهم صاحب فرسين ولقبه بسيد على خان وجاء فى ركاب السلطان إلى أورنقباد (أورنگ آباد) ولما انتهض السلطان إلى أحمد نگر جعل السيد على خان حارسا على أورنقباد وقام هو بالحراسة مدة ثم أخذ من السلطان حكومة ماهور وهى قلعة مشهورة من ديار برار ثم استعفى عنها واتمس من السلطان ديوانى برهان پور فقبل وأعطاه إياه وأقام مدة ببرهان پور على عمله ثم ترخص من السلطان إلى الحرمين الشريفين ووصل مع الأهل والعيال إلى الأماكن القدسية ثم إلى عتبات الأئمة بغداد ، و سمر من راي ، وكربلا ، ونجف ، وطوس ، ثم إلى أصفهان وأدرك السلطان حسين الصفوى فلم يجد منه ما كان يرقبه من الالتفات فذهب إلى موطن آبائه شيراز وأقام بالمدرسة المنصورية وأتم ما بقى من عمره فى إفادة طلبة العلم وتوفى سنة سبعة عشر ومائة وألف وله مصنفات منها « أنوار الريع فى أنواع البديع » و « سلافة العصر » وشرح الصحيفة الكاملة ومن أشعاره قوله :

ليس احمرار لحاظه من علة • لكن دم القتل على الاسياف

قالوا تشابه طرفه وبنانه • ومن البديع تشابه الاطراف

وقوله :

ولما التقينا بالغوير عشية • وفاز بما يرجو مشوق وشائق

تبسم من أهوى قتل لصاحبي • بلغت المني هذا العذيب وبارق

ولاح فقال الصبح هذا تبلى . أيكذب هذا الصبح والصبح صادق
 وفاح فقال الروض نافع عبقى . وهل قفحت بالمسك قط الحدائق
 وماس فقال الريح تلك معاطى . متى أزهرت فوق الرماح الشقائق
 وفاه بنطق خاله الدر نظمه . وهل لفظ الدر المنظم ناطق
 وأرخى أثينا أوم الليل لونه . ومن اين الليل البهيم مفارق
 وأبدى لحاظا أقسم الريم أنها . لوحظه لولا السهام الرواشق
 وكلهم قد كاد يحسبه مشها . ولكن من أهوى على الكل فائق

يذكر الدكتور عبد ابن المصوم علامة عصر، عبد الجليل البلكرامى ١١٢٨ -
 ١٧١٥. وما أن ماخذ مقاله هو كتاب «سبعة المرجان» تقدم للناظرين ما يتعلق
 به مباشرة بدل ما نقله الدكتور عنه.

ويقول صاحب سبعة المرجان، السيد عبد الجليل بن السيد أحمد الحسينى
 الواسطى البلكرامى نور الله ضريحه هو جدى وأستاذى وفى الشتاتين ملاذى كتبت
 ترجمته فى تسلية الفواد فأعل بها غليل الورد، مولده ومنشأه بلكرام وهى قصبة
 عظيمة قرية من قنوج وهى بلدة مشهورة مذكورة فى القاموس، يرجع نسبه إلى
 على العراق من نسل زيد الشهيد رضى الله عنه وهو علامة بارع وكوكب ساطع
 مرجع العلم بالطهارة وصاغ الزهد فى الأمانة توشح بحمائل التقى وتحلى بأساور
 السخا إلى مزايأ أنى نظرت إلى أترابها عيون الفلك الدائر وسجايأ اينما انفتحت
 على أضرابها جفون النور الناضر، قلما سمح الزمان بمثل هذا الجواهر العالى ولعمرى
 لقد روح بوجوده روح المقدم والتالى، ولد فى الثالث عشر من شوال سنة احدى
 وسبعين وألف بمحروسة بلكرام عمرها ذو الجلال والاكرام ومحلته بها ميدان
 يوره ونشأ بهذه المعمورة ولما اقلق صبح شعوره ولاح وميض فى ديجوره،
 خرج فى طلب العلوم وعزم على أخذها ولو بالروم، وجاب طرقها طلق المحيا

رُقص تناولها ولو كان بالثريا فأخذ الكتب الدراسية عن الاساتذة ولقي جماعة من الجهابذة وأخذ الحديث عن نطب المحدثين منبع اللجج الطوامى مولانا السيد مبارك الحسينى الواسطى البلكرامى المتوفى سنة خمسة عشر ومائة وألف وهو أخذ عن الشيخ نور الحق الدهلوى وهو عن شيخه وأبيه الشيخ عبد الحق الدهلوى قدس الله أسرارهم وتأدب على الأستاذ المعنوى مولانا الشيخ غلام نقشبند اللكنوى روح الله روحه وتفنن فى العلوم العالية وعطر المحافل بروائح غالية لاسيما التفسير والحديث والسير وأسماء الرجال وتاريخ العرب والعجم وأما اللغة فحسابها ثى بنانه كان القاموس كى لسانه وأما الادب فهو معدن جواهره ولجة عنابر عارفا بالالسنه الأربعة من العربية والفارسية والتركية والهندية تكلم بالالسنه الأربعة ثى غاية الطلاقة وأنشأ فى كل منها أشعارا فى نهاية الرشاقة له قلم ألطف إشارة من بنان مخضب للحسان وأفصح عبارة من أهداب كحيلة للغزلان . واجتمع بالسيد على معصوم صاحب سلافة العصر بأورقباد فوجده السيد على فى أعلى رتب الاستعداد وقال والله ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرا لما ألفاه فى خمائل الادب غصنا نضيرا ثم أسباب المعيشة لا بد منها للخاص والعام فان شغل الآخرة والأولى لا يتم إلا بالحضور التام لاسيما لمن كان صاحب الأهل والعيال ومتكفلا لخدمة جمع بالغدو والآصال ، فسافر من الوطن إلى الدكن ولازم السلطان أورنك زيب وهصر غصنا مشرا من روض رطيب . فوجده الملك فائقا وأعطاه منصبا لائقا وسلم له بخشيكرى ووقائع نكارى (أى تحرير الوقائع ووضع التقارير) بلدة ججرات من بلاد پنجاب سنة اثنى عشرة ومائة وألف ثم عمل بخشيكرى وسوانح نكارى بلدة بكر وبلدة سيوستان وهما من بلاد السند سنة ستة عشر ومائة وألف فعمل فيها بالسيرة الحسنى من الديانة وتمسك بالعروة الوثقى من الأمانة وتقررت عليه هذه الأعمال فى الطبقات التى بعد السلطان أورنك زيب ، كان الأمراء وأركان السلطنة من كل طبقة يهتمون بمراسم تعظيمه يعتنون بقواعد

تكرمه ثبوته في مقام التقوى وسلامته من عموم البلوى ولا يجتمع الدنيا والدين
إلا لمن سفت له عناية رب العالمين فيقول فيه. وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في
الآخرة من الصالحين. وفي سنة ست وعشرين ومائة وألف عاد من بكر إلى
شاهجهان آباد لا زالت مثابة للقصاد ولازم السلطان فرخ سير وقضى بميامن عنايته
ما كان له من وطير.

ومن أشعاره :

فتاة ثغرها كالعين شكلا وكالميم المدور شكل فيها
هماس وبها عجا حياى إذا ما ذقت له لا شك فيها
ويقول :

حبي قوس حاحه كنون وصاد يد ابن مقلة شكل عينه
لمرى اه نص حلى على ان الرماية حق عينه
وقال مورخا لما فتح السلطان اورنگ زيب عالمكير انار الله برهانه قلعة ستارا
من مشاهير قلاع الدكن سنة احدى عشر ومائة ألف :

لما توجه سلطان الانام إلى رب السموات في تأيد اسلام
أفر إيهامه في أصل خنصره لورد يا قادر فتاح أحكام
فصارحين افتتاح الاسم مفتحا حصنا لمن عبدوا أحجار أصنام
فظرت في ألقات وهي أربعة ه من فوق إيهامه من غير إيهام
وجدتهن لعام الفتح حينئذ رقا على سنة من مد إيهام
فه تلك يد يضاء قد نزع ه للناظرين فيا للعجز السامى
هذا البديع من التاريخ أنشأ عبد الجليل بتائيدات إلهام

واعلم ان أهل الأوراد دأبهم حين يعدون وردا على الأنامل أنهم يبتدئون

من أصل المختصر والمورخ رحمه الله تعالى أراد باقرار الابهام في أصل المختصر شيئاً زاد التاريخ حسناً وهو حدوث صورة سنة وكون ألفات الرقم فوقها كما هو دأب الناصحين في الأكثر وإليه أشار بقوله رقاً على سنة من مد إبهام ولعمري ان هذا الجوهر ثمين لا يظفر بمثله إلا بتعريق الجبين، وذكر يوماً عندي أن الوطواط أورد في حداثق السحر في أمثلة تأكيد المدح بما يشبه الذم قول البديع الحمداني:

هو البدر إلا أنه البحر زاخراً سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

ثم قال أنشد هذا البيت إبراهيم الغزي في بلخ لحفظه وفكر أسبوعاً أو زائداً عليه أن يقول مثله فلم يقدر عليه واعترف بالعجز وقال ما نظم قط أحد مثله قبل البديع ولم ينظم أحد مثله بعده ثم قال جدي عجبت من نقي التأكيد الذي نقله الوطواط عن الغزي ونظمت بيتاً على منواله وزدت فيه مراعات النظر وهو:

هو القطب إلا أنه البدر طالماً سوى أنه المريخ لكنه السعد

يذكر الدكتور بعد ذلك عن السيد محمد ابن السيد عبد الجليل ١١٥٨ - ١٧٤٥ وكان شاعراً مجيداً وأديباً بارعاً فيقول إن أرض بلگرام أنجبت عدداً من العلماء والشعراء عدا عبد الجليل السيد محمد ١١١٥ - ١٧٣٨ والسيد محمد يوسف ١١٧٢ - ١٧٥٨ والسيد غلام علي آزاد ١٢٠٠ - ١٧٨٥ وسنذكر عنه .

وامتازت أسرة الشاه ولي الله في دهلي في براعتها في العلوم الإسلامية وفي الأدب العربي والشعر العربي، فهو نفسه وأبو الشاه عبد الرحيم وولده الشاه عبد العزيز والشاه رفيع الدين كلهم كانوا شعراء العربية ولقد قرضوا ما قرضوا من المنظومات والمقطوعات والقصائد . فما أجمل ما أنشد الشاه عبد الرحيم في بحث الروح رداً لابي علي سينا، ثم إن القصائد العربية التي أنشأها الشاه ولي الله في مدح خير البرية قد نشرت ونالت من الناس قبولاً عاماً، وكذلك أنشد الشاه

عبد العزيز قصائد يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما الشاه رفيع الدين فقد زاد في أشودة جده على موضوع الروح بثلاثة مصاريع على كل بيتين منها. وهناك شاعر آخر محمد باقر المتوفى سنة ١٢٢٠ - ١٨٠٥ وهو من مدراس وله ديوان عربي ولكنني لم أوفق ولا لنسخة واحدة منه في أية مكتبة من المكاتب، وكان كاتباً خصباً ترك وراثته عدة كتب وضعها.

ثم أكبر الشعراء في الهند وأجلهم السيد غلام علي آزاد وقد عرفت به فيما سبق بعض المعرفة. فله من الأدب العربي والشعر العربي عين ما لأمير خسرو من الأدب الفارسي وشعره منزلة. على أن أمير خسرو لم يكن هندياً بمعنى الكلمة بالتمام فقد وفد أمراء الهند من الفارس بينما آزاد هندي كلياً فقد هاجر أسلافه إلى الهند قبل عدة أجيال.

ترك آزاد وراثته سبعة دواوين طبعت مقتبساتها باسم «سبعة سيارة»، وأشده القصائد أكثرها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لجمعها كلها في كتاب بمفرده وسمى «تسليمة الفوائد»، فهو حسان الهند حقاً كما كان «خاقاني»، حسان المعجم.

نعم ليس لأنشاد آزاد من إقبال خارج الهند ولا نرى له من أثر لأنه كان يعيش بين ظروف لا تسمح ولا تتيح فلم يكن من الميسور للهند ومصر ولا للبلاد العربية أن تتبادل بينها مبتكرات الأفكار كما كان معمولاً بين إيران والهند أيام أمير خسرو وزد على ذلك أن كل قطر من الأقطار كان يتحيز ضد القارضين في لغته من الأجانب وخذ لك مثلاً أن الفارسية لا تعتبر ولا تقدر أبداً فضل القارضين فيها ولا جدارة منشديهما من الأجانب، فهذا أمير خسرو وهذا فيضي لم يلغا من التحيز والتقدير في البلاد الفارسية ما قد تمتع به في الهند وتركيا. على أن قصائد آزاد المدحية عند ما أرسلت إلى علماء المدينة المنورة أعجبوها وقدروها كل التقدير فعرضوها على الروضة الخضراء، وكان من بين المعجبين بها

الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المصرى الذى أخذ عنه آزاد فوائد جمة من الأحاديث النبوية فى مكة المكرمة، وعندما علم الشيخ أن كلبه آزاد هى رمز اسم الشاعر واعتاد الشعراء فى الهند وإيران بمثل هذا فقال مخاطبا آزاد «سيدى إنك من عتقاء الله». ثم ان آزاد هذا كأنه ولدته أمه شاعرا فكان مفطورا على دقة الذوق فى الشعر ورقته. وكان ينشد الأشعار بالفارسية وله كتابان فارسىان يتداولهما العلماء إعجابا وأخذوا يذكر فيها عن الشعراء الفارسيين.

ومن الغرابة والعجب أن تاريخ آداب اللغة العربية للاستاذ بروكدين بما تعرض لعدد من كتاب الهند ومصنفها لا يذكر شيأ عن آزاد ولا عن كتبه عليه لم يجد عملا من أعماله، فكتابه «سبحة المرجان» الوحيد من نوعه طبع فى بمباى طبعا حجريا سنة ١٨٨٥ وقد تكلمنا عليه فيما سبق.

وأنشد آزاد منظومة طويلة استغرقت ١٠٥ أبياتا وسماها «مرأة الجمال» يصف فيها كل عضو من أعضاء الحساء من رأسها إلى أقدامها واختص لكل عضويتين، يقول العالم الجليل والكاتب الخصب نواب صديق حسن خان المتوفى ١٨٩٠ عن هذه المنظومة فى كتابه «نشوة السكران» و «مثل هذه القصيدة الحسينية مثل القصائد البديعات حيث شرع فيها الشيخ صفى الدين الحلى ثم جاء جمع من الفرسان وأطلقوا أعنة الأقلام وقد قال آزاد، لقد شرعت فى البنيان وأسست قواعد العمران فمن يحى. بعدى يزيد على هذا البناء ويرفعه إلى سابعة السماء إن شاء الله — وهذا أمر مرجو لكننى لم أقف إلى الآن على من زاد عليه بعد».

وفما يلى أبيات من هذه المنظومة كأنموذج لمزايا آزاد فى شعره وتعلم من نوعية المنظومة :

﴿ مطلق الحسن ﴾.

بى ظية من أبرق الحنان . من مثلها فى عالم الامكان

شمس تباهى بالناس أمة لها . وكواكب أخرى من الغلمان

(الظفيرة)

أظفيران على ياض خدودها . أو في كتاب الحسن سلسلتان
أو لبنا العبدان أقبلا معا . أو من قصائدهم معلقتان

(الجهة)

فه جهتها المضيئة في الدجى . وهب الإله له علو مكان
هي نصف بدر كامل لكنها . تربو على القمرين في اللعان

(الحاجب)

أبصر حواجيبها وأدرك كنهها . غصنان منحنيان وسط البان
أو كافران يشاوران ليوقعا . آماننا في موقع الحرمان

(العين)

طرفا الحية ماكران تمارضا . وتغافلنا عن رؤية الجيران
أو نرجسان على غصين واحد . وهما بماء مسكر نضران

(اللحظ)

لحظ الماهة فتورها مستحسن . يحكى أريج النرجس الريان
ترنو ونحن نخاف فتنة طرفها . وقع المهند في يد السكران

(الكحل)

أنظر إلى كحل على أهدابها . هو جوهري لمهند ويمان
أو أبدع النقاش خطا حالكا . ليزيد روق دورة الفنجان

(الآف)

الآف سد بين طرفيها نعم . هذان سيانان محصمان

محراب حاجبه بناء رائق • وهو العماد لذلك البنيان

(الفم)

وفم الحبيبة حقة محمرة • فيها لآلى الماء والتيان
ياقوتة مثقوبة لكنها • بالثقب خالية عن النقصان

(الشفة)

شفة الفتاة عقيقة يمينية • تشقى صدى الضمآن
رطبان كل منهما ذو حمرة • متفاخر باللون والحلوان

(الثغر)

ما الثغر إلا كالطباشير الذى • يطغى لواجع غلة اللهفان
أو أقحوان يرتوى من ريقها • أو لؤلؤة فى حقة المرجان

(التبسم)

بسمت شفاه حبيبتى أو لاح فى • شفق وميض رائق البرقان
أو سلت الحسناء سيفاً لامعاً • لترىق باسمه دم الوطنان

(المسى)

شقة المهابة عقيقة مسيها • يحكى سواد شقائق النعمان
أو هذه ياقوتة كحلية • فيها جلاء بصارة الانسان

(اللسان)

حسان مقولها طلسم يحتوى • دررا تدرجها إلى الآذان
عين الحياة فم التى أحبتها • ولسانها هو أحر الحيتان

(الحديث)

حلو ومر قول فاتنة النقى • متلبس بتخالف العنوان

فالمحلون تناول سكرة . المر منه مدامة النشوان

(الهند)

خد التي برعت طلاوة وجهها . وردا طريا من رياض جنان
الورد في بستان غانية الحمى . والترجس الريان يجتمعان

(الحال)

الحال في خد الحسينة عبدة . كيف استقر الكفر في الايمان
أوطاح في الوقف الذكي فراشة . أو عرج الزنجي في الميسان .

وجملة القول أن الانشودة تنتهى إلى خمسين مقطوعات يتضمن كل مقطوعة
وصف عضو وصفا بليغا ويذكر الشاعر في المقطوعات الختامية تاريخ إنشادها
وكذلك يدعى فيها ابتكار هذا النوع من الشعر .

فيقول :

ما إن سمعنا مثلها عن شاعر آزاد للطرز المنشط بان
وهادونكم بعض أشعاره الأخرى اقتطفناه من دواوينه :

ألا لكل حين الوجه أشباه . ولا نظير لمن أهواه إلا هو

فرد جليل لا يشاهد مثله . من ثم رؤيته شفاء الأحول

يا أيها الملك الرفيع جنبه . لم يلف في كل الورى لك ثان
ظل لرب العرش أنت وظاهر . أن لا يكون لواحد ظلان

إن تبغوا ماء الحياة فذلكم . في الهند لا في موضع الظلمات

هى خمره للشاريين كرامة * إذ أنت تحسبها عقيقا ذائبا

السرو يرجو أن يمس كفده * ويفوز فوق الأرض بالخطوات
والورد أمل أن يكون كحده * فأنى يسط الكف للدعوات

صدر الأماثل مولانا وسيدنا * جنبه قبلة الانسان والملك
شم الجبال تعلت عنده سفها * وما درت أنه أعلى من الفلك

﴿ مميزات شعر آزاد ﴾

(١) لم يكن من طابع الشاعر العربى الصميم أن يكثر فى شعره من معانى
التصور ومبتكرات التخيل فذلك مما أتى به المولدون وعلى ذلك فكانت صبغة
آزاد فى شعره كالمتنبى غير صبغة الجاهليين أو المخضرمين من الشعراء، ثم إن
الشعر الفارسى ما ازدهر أيام المتنبى ولم يتطور إلى درجة الكمال فلم يأخذ منه
أبو الطيب ما نال آزاد. فالمتنبى أقدر على الملكة الشعرية وأعلم باللغة ودقائقها
ولكن آزاد أكثر منه تحميلا.

(٢) كان آزاد ولوعا بالبدائع وقد اخترع عديدا منها كما أسبقنا بما اخترع به.

(٣) لم يكن للشعر الهندى ولا السنسكرتى أى تأثير على الشعر العربى قبل آزاد،
نعم كان هناك شاعر أيام السلطان أكبر ينشد بالعربية وفق أوضاع هندية ولكنه
كان على حساب التسلية والترفيه ولم يكن عملا أدبيا — وإنما آزاد هو الذى
أضاف إلى العربية بشعره محاكاة هندية وسنسكرتية وعبر فى أشعاره عن بعض
البدائع الهندية بالعربية كما أوردنا عند التعليق على كتاب «سبعة المرحان».

(٤) قرض آزاد فى كل صنف من الشعر الفارسى فأنشد الرباعى والمثنوى
والمستزاد وما هو دون ذلك. والأرجوزة العربية المزدوجة هى تضاهى الرباعى

ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الخامس مارس سنة ١٩٥٤ العدد الأول

محتويات هذا العدد

صفحة

٤٥

الدكتور ربيد أحمد

إلى الأدب العربي



الموضوع



إلى الأدب العربي (من الكتب في الفلسفة) للدكتور زيد أحمد

قدمنا بنصيب الهند في علم الكلام فيما سبق، ونبدأ بهذا الفصل بما هي ساهمت به الفلسفة التي هي القسم الوحيد الذي كان في مقدمة الاهتمام الشديد والاعتناء البالغ من علماء الهند بعد ولوعهم بالعلوم الدينية مع كونه في ناحية عن الدين. نعم وضعت في الهند على موضوع الفلسفة كتب ومؤلفات، ولكنها على كثرتها لا تحمل أى إبتكار أو فارق لا يتضمن المؤلفات الموضوعة في غير بلاد الهند، وكما نوهنا عنه غير مرة أن عهد الوضع والتأليف في اللغة العربية في الهند يرجع إلى القرن الحادى عشر من ميلاد المسيح أيام كانت معرفتها فيها ودراستها في قصى درجاتها. وما لا ينكر أن العالم الاسلامى في جل ما وضع وما ألف منذ ذاك القرن، لم يزد على أن يعاق ويشرح أو يكرر ويعيد. وفضلا على ذلك فلا تذهل عن ذاكرتك أن علم الفلسفة هو من المواضيع التي لم يدع فيها علماء الاسلام إبداعا حتى في دوائر نشاط الاسلام ومراكز معارفه. ولقد أصاب «لاذى بور» إذ قال «إن الفلسفة ظلت عند المسلمين إلتخابية تتوقف على المنقولات المترجمات من اليونانية، فدورهم اذن بالفلسفة دور الضم والهضم ولا طور الخلق والابداع، فتراهم ما عرضوا لجديد من المسائل باسطين فيها وما قوموا بالمعوجات القديمة فاحصين عنها».

ولئن حسبنا علم الكلام في عداد الفلسفة لساغ لنا أن نقول إن العلماء المسلمين قد قاموا بعض القيام على ضوء العقائد الدينية ومبادئها لحل بعض المعضلات من المسائل القديمة خلاف المعمول من فلاسفة اليونان. وأنا قلت

بعض القيام عمداً منى بالفلاسفة من المتكلمين أنفسهم أخذوا في إستدلالهم نصيباً من الفلسفة اليونانية، إنهم تبسطوا للمبادئ والأفكار التي طابقت معتقداتهم ورجحوا بها، ثم قاموا بمعونة الاستشهادات لتلك المبادئ والأفكار يقضون ويدحضون كل ما تتضرع من الفلسفة معاكساً لديهم. فإبطال مبادئ الفلسفة اليونانية بالأذعان الإسلامى الراسخ الصادق، هو الأساس الذى بنوا عليه بناية علم الكلام بأكثره، وقصارى ما يقال أن أمثال كندى وفارابى وابن مسكويه وابن سينا وابن رشد هؤلاء الفلاسفة المسلمين لما لم يتكروا فيما كتبوا إلا قليلاً نذراً فإدا عسى أن يرحى من كتاب الهد من خلق وإبداع.

وإذا كانت مكتوبات فارابى وابن سينا كموسوعات فلسفية لفلاسفة يونان، فإن كتاب الهد كذلك حدوا حدوهما فى تقديم جهودهم للجيل المقبل التابع فى الهد.

إن علماء الهد كانوا أشد إعتناء وأكثر شغفاً بعلم المنطق ودراسته وهم جعلوه فوق الطبعيات، والذى أراه إن الماطقة المسلمين قد ابتكروا فى المنطق الذى أخذوه من اليونانيين، وعلى قدر معرفتى أقول أنه لم يبق حتى الآن من يسعى للمقارنة بين المطلق الإسلامى والمنطق اليونانى ولو كان ذلك وقارنا بين النقل العربى الأول والتمن اليونانى العريق لعلمنا من المصطلحات معانيها الجوهرية ولعلمنا التطورات فى المعانى بمرور الزمان، ثم لأدركنا ما تنبع للمنطق العربى من الارتقاء التدريجى ووجدنا بعد كشف الغطاء ما أضاف المناطقه المسلون إلى منطق أرسطاطاليس.

إن المفكرين المسلمين قد تمسكوا بالمنطق تمسكاً شديداً حتى ما كانوا يخوضون حديثاً ولا يطرُقون لبحث ما بآنا إلا بالمنطق، وأضرب لك مثلاً لتعلم ما أريد نخذ لنفسك مسألة هل هناك إله أم ليس له وجود؟ فالفلسفى المسلم يستدل على

المسئلة بما يأتى مراعىا كل الامكانيات من تأملات الفكر فيقول: للبحث وجهان إما أن يكون الوجود وإما أن لا يكون، فاذا كان فلا يخلو من أن يكون واحدا أو أكثر من واحد فاذا كان أكثر فلا يخلو من أن يكون كل الالهة احرارا مستقلين بذواتهم أولا، وهكذا يأتى بكل إمكانيات الفكر فى البحث عند عدم الوجود فيقوم فاحصا باحثا من القعر حتى السطح، رافضا كل مهم غامض وختاما يثبت أن ما تمسك به هو الحل الصادق للقضية المعقدة.

إن مساهمة الهند فى الأدب العربى من ناحية الفلسفة موضوع مهم يتقاضى أن تخصص له رسالة بمفردها، وفيما ارى أن أذكر الدين كتبوا عن الفلسفة فى الهند بمجمل ثم أياشر بما كتبوا.

فأول كاتب فى الفلسفة هو عد الله من «تولنبي» قرية فى ملتان وكان عالما كبيرا بالغا فى معارف الفلسفة ذروتها ومجازا فى دراسة الفلسفة فى الهند، إبه ترك مقره من قريته قاصدا إلى دهلى أيام سكندر لودى فاستوطها وكان السلطان يعظم عليه ويقدر فضله وكان يحضر حلقة درسه فينضم إلى ناحية من منتهى الصف دون أن يشعر فيحدث فى الحلقة اضطراب ما فهذا هو الكاتب الهندى الذى بدأ بالكتابة فى الفلسفة، ووضع شرحا على الرسالة المعروفة بميزان المطلق باسم بديع الميزان الذى يدرس فى أكثر مدارس الهند حتى يومنا هذا.

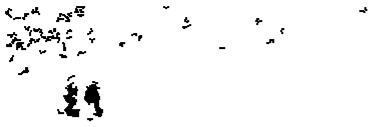
فأعقبه محمود من جون پور وهو المعروف بـ «ملا» ١٦٥١ - ١٠٦٢ وحدث أن شيخه العلامة محمد أفضل ما استطاع أن يعيش بعد موت محمود أكثر من أربعين يوما لشدة ما صعب بها، وهذا ملا محمود هو عالم عصره البارع البارز وكان معاصرا لعالمين كبيرين عبد الرشيد ١٦٧٢ - ١٠٨٣ من جون پور وعبد الحكيم من سيالكوٹ، وله من الكتب المعلومة كتاب الحكمة الثالثة وشرحه الشمس البارغة وكتاب الدوحه، ولعبد الرشيد شرح على رسالة للسيد الشريف الجرجاني

في المنطق سماه الرشيدية، وهذا الشرح كذلك يدرس في مدارس الهند العربية عامة ولعبد الحكيم عدة شروح على الكتب المدرسية في الفلسفة.

ثم اتبع هؤلاء العلماء مير محمد زاهد ابن القاضي محمد إسلام ١٦٨٩ - ١١٠١ وعبد الله الهاري ١٧٠٧ - ١١١٩ فير محمد زاهد هو العالم المتضلع في فنون الفلسفة واتصل بالبلاط الملكي عند السلطان شاهجهان ولما توفي نابه عنه من أخلفه، وله ثلاثة شروح على ثلاثة كتب معتبرة متداولة. وهي شرح المواقف، وشرح التهذيب، والرسالة القطبية. وسوف يذكر عن شرح التهذيب والرسالة القطبية فيما بعد وهذه الشروح الثلاثة معروفة بين العلماء بالحواشي الثلاثة الزاهدية.

وأما القاضي مح الله الهاري فكما قلنا بالفصل المختص بالفقه إنه وضع ثلاثة كتب الأول منها في أصول الفقه موسوم بمسلم الثبوت وقد بحثا عنه في محله والثاني في المطلق موسوم بسلم العلوم والثالث منها وهي الرسالة الوحيزة في المسائل الفلسفية وقد سميت بالجوهر الفرد وهذه المواقف كلها معتبرة في الهند مقدرة أحسن التقدير. وكتاب سلم العلوم هو كتاب مدرسي منذ أمد بعيد شرحه العلماء شروحا مستوعبة كاملة.

وما قدما يظهر حليا أنه قل أن يدخل المغول كان هناك فردا من العلماء متخصصا في دراسة الفلسفة، مادونا فيها، وهو عبد الله ولكها نمت وازدهرت أيام حكم المغول بوجود عديد من الفلاسفة البارزين، والبلاط الملكي أيام شاهجهان وعالمكير يشهد لك أنه كان كالمعطيس أخادا للعلماء جذابا، وهذه أمارات رام پور ولكناؤ عندما لعت بالمغول أيدي الزمان بقيت ناصرة هؤلاء حملة العلم والعلم، ولا تس بيت خير آباد بيت العلم والشرف فليس من ينكر أن هذه العائلة من جدها إلى حفيدها أثبتت جدارتها بالفلسفة والتضلع في معارفها، فالجد وهو هزل امام ١٨٢٧ - ١٢٤٣ وضع في المنطق كتاب المرقاة وكتب شرحا على



بديع الميزان المذكور وسماه تشجيد الأذهان وابنه فضل الحق العالم الشهير وضع كتابا مدرسيا في الطبيعيات وسماه الهدية السعيدية منسوباً إلى سعيد الدين خان حاكم رامپور وقد كان من خاصته ثم ابنه عبد الحق طائر الصيت في علوم الفلسفة شرح الكتاب المعروف في الفلسفة وسماه الهداية الحكمة وهو شرح مقبول في الهند حتى اليوم.

وما عدا هؤلاء من الشيوخ المعروفين في الهند القاضى مبارك، -وحد الله، وأحمد على، ومحمد مبین، وملا حسين ومحر العلوم والذين يقال عنهم علماء فرنكى محل، ولكن من الغرابة والأسف أنك لا تجد منهم أحدا يمشى على حياء من المعر المسلك في الفلسفة القديمة أهم لم يطمحوا أن يعملوا فوق وضع الشروح على الشروح و الحواشى على الحواشى بوجوه منطقية موروثة موهوبة من ابن سينا بخلاف تافه من الكلمات هنا وهناك، فكان فلسفتهم لم تكن إلا تصریح ما نطق به ابن سينا الذى يعبرون عنه بالشيخ.

ولا تجد في الهند من العلوم التى قد أصيبت من الناس إساءة الاستعمال ما أصاب علم النحو وعلم المنطق فضحى الناس درس الأدب وراء النحو الذى كانت دراسته كأداة للأدب وآلة له وكذلك شأنهم بالمنطق فهم درسوا المنطق للمنطق وقد كان موضوعا ليكون مستخدما كوسيلة لنيل المعارف، فالنزاعات اللفظية والمناقشات الاصطلاحية أساءت بسمعة المنطقيين في الهند وشاعت عنهم بين الناس روايات وحكايات تمثل لك إتجاه عامة الناس نحوهم، وما دونك منها مثالان:

(١) جلس والد ذات يوم بولده على المائدة. وكان عليها من بين صحون الأطعمة أيضا واحدا في صحن لكليها، فسأل الوالد ابنه «فيا تقرأ في هذه الأيام؟»، فكان الجواب «في المنطق»، فقال «ما هو هذا؟»، فأجاب الولد «أنه علم أستطيع به ان اثبت به البيض الواحد هذا بيضين»، فباشر الوالد رغبة «هات ما تقول،

فأخذ يستدل بالجدال المنطقي الغامض على أيه وأتى بالنتيجة المنطقية قائلا : فهذا اليض يضان ، فرد الوالد : لقد سرتي رهانك على وجود ييضتين في هذا الصحن فما أما آخذ واحدا وحذ لمسك الآخر .

(٢) كان يثنى في طريقه إلى المدرسة طالب في المنطق إذ رأى دارا فيها ثور يدور ممصرة شان عصر الربيوت في الزمن العار فوقف هناك برهة وطفق يتصر في الماكية وما يتضمن عليها ، وإذا به يتقدم نحو صاحب المعصرة وكان في ناحية من الدار سائلا : مفهوم من ما كيتك يا سيدى كل شىء عملا وهدفا ولكن الغامض الوحيد على نفسى هو الحرس المعلق في عنق الثور ، فأجاب الرجل : أبى به أعلم وأنا هناك جالس في شغل أن الثور في دوره ، ولكن رد على ذلك شاما المنطقي مباشرة : ربما يحرك الثور رأسه واقفعا ، ولما اتقبه العصار إن الشاب المحاصر منطقي فرع منه قائلا إن ثورى لم ياخذ دروسا في المنطق يا عزيزى .

وها أنا الآن أقدم تفصيل ما تدرعت به الهد إلى الأدب العربى في الفلسفة ، من الكتب الموضوعية فيها في الهد خمسة وعشرون كتابا يستحق الذكر والاعتبار وتستطيع أن تورعه على ثلاثة أقسام رئيسية

(١) الشروح على الكتب المعتر الموضوعية على المناظرة - ٢

٢١. الكتب الجوهرية في الفلسفة (الطبعات وما بعد الطبعات)

الكتب المدرسية - ٤

الشروح على الكتب الموضوعية خارج بلاد الهند - ٣

الشروح على الكتب الموضوعية في الهند - ٣

(٣) الكتب الموضوعية في علم المنطق - الكتب المدرسية منها ٣

والشرح على الكتب الموضوعية في خارج بلاد الهند ٦

وعلى الكتب الموضوعية في الهند ٤

١ - الشروح على الكتب المدرسية المعتبرة المناظرة

كتابان في علم المناظرة معروفان بين العلماء يدرسان في المدارس العربية أحدهما الرسالة العضدية لعضد الدين عبد الرحمن ابن أحمد الايجي ١٣٥٥ - ٧٥٦ والثاني الآداب الشريفة للسيد الشريف علي ابن محمد الجرجاني ١٤١٣ - ٨١٦ ولكليهما شرحان من أجلة علماء الهند، فالرسالة العضدية شرحها نور الدين من أحمد آباد ١٧٣٧ - ١١٥٠ وكذلك شرحها عبد الحى الكاتب الحبيب المتأخر من لکناؤ ١٨٨٦ - ١٣٠٤ وسمى شرحه الهدية المختارية وهو شرح مستوعب يفوق المؤلفات المسبوقه من هذا القسم ذكرناه كشارح لا كواضع فان العهد الذى نحن بصدده لا يتصل بعهدده وكثاب عهده وكفانا ذلك بمولعائه الاخرى .

وأما الآداب الشريفة للجرجاني فلكونه الكتاب الاوفى من الرسالة العضدية كان أكثر تداولاً ، فقد شرحه كاتبان معاصران ، عبد الباقي ١٦٧٣ - ١٠٨٤ وعبد الرشيد من جون پور ١٦٧٢ - ١٠٨٣ وسميا شرحهما بالآداب الباقية وبالآداب الرشيدية وقد نال الأستاذ عبد الرشيد لتمسكه بالدانة والورع قبولاً عاماً بين الناس وكفى تقديراً بجلالة علمه أنه لما بلغ الأمراطور شاهجهان من براعته فى العلوم وكفائته البالغة فى المعارف بعث إليه يدعوه ولكه أبى أن يقبل ذلك ، وشرحه الآداب الرشيدية يفوق عمل عبد الباقي لفضله عليه فى إستقصاء الأبحاث واستيعابه فكان إقبال الناس عليه على قدر فضله .

وهذا الشرح يتضمن مقدمة وتوسع محاضرات وتذيلاً ، فالمقدمة تبحث عن تعريف المصطلحات فى هذا القسم من العلم فوصفت المناظرة بأنها بحث بين الخاصمين المناظرين فى مسألة محددة لينجلى به الحق المراد ، فيطلقون على البحث عرف العلة الصورية وعلى الخاصمين المناظرين عرف العلة الفاعلية ، وعلى الموضوع العلة المادية ووضعوها للانتاج بالحق المنشود عرف العلة الغائية ، وهى التى اهتم بها

الشارح إهتماما بالغاً فالمناظرة من دونها تعود مجادلة ومكارة.

والمحاضرة الأولى من الكتاب مغراها أن رجلاً - المدعى - يدعى أمراً، فالآخر - السائل - الذى لا يصدقه يطالبه بالدليل ويقول أنا لا أصدق ما تقول. فالمدعى يقدم للسائل حجة على ما قال، فاصطلحوا على طلب الحجة بالمنع والسائل إما أن يقص الحجة لقص منطق فيها أو يعارضها بالدليل المعاكس لها قائلاً إن عسى ما ثبت خلافها فوضعوا للأول عرف الناقض والثانى عرف المعارضة. فيتبدل بذلك الموقف ويقوم المدعى مقام السائل لقض حجة ويكون السائل مكان المدعى ويستمر هذا التبادل والتحول إلى أن يبرز الحق وينتهى البحث.

والمحاضرة الثانية تقول أنه يجب تعريف كل كلمة من الدعوى قبل بداية البحث بالدقة والتمام وقاية اللاتسار وسوء التفاهم وتحاشيا عن الغموض والارتياب، وهذا التعريف كذلك من قبيل المع والنقض والمعارضة ولكن المطالبة بتعريف ما يعلمه المحاضمان حق العلم ليست من شأن المناظرة المستقيمة.

والمحاضرة الثالثة تبحث عن الشواهد والمقتبسات، فالمطالبة بها حق عندما يحلها السائل وإلا فالمناظرة تنقلب مجادلة.

والمحاضرات التالية الأربعة تبحث عن تعليقات واضحة للنق، والنقض والمعارضة بكل السط والاسهاب والاضط والالتقان.

وفى المحاضرة الثامنة أوضح الواضع أن المدعى كيف يعود سائلاً وكيف ينقلب السائل مدعياً، والمحاضرة التاسعة فى التوصية إلى القاريين أن المدعى أو السائل أيا كان إذا لم يكن ررباً واعياً إلى البحث ويعتمد إلى التليس فلا حاجة لكم بالاستدلال

٢ - الكتب الجوهرية في الفلسفة

الكتب المدرسية - ٤

١ - الدوحة المياده في حديقه الصورة والماده، وهى رساله تحث عن الصورة والماده وضعها الملا محمود الجون پورى، فقال فيها أن المفكرين بأجمعهم يرون من غير خلاف أن فى الوجود الطبعى ما يخضع للتغيرات ويقبلها، ولكهم اختلفوا فى الخاضع للطوارى - ما هو؟ فقال الحكماء الاشراقيون إنه نفس الجسم وقال المتكلمون أنه جزء لا يتجزى من ذلك الوجود المادى، واستشهد الفلاسفة المشائيون بنظرية أن كل وجود مادى يتركب من جزئين حوهريين لا ينفك أحدهما الآخر فالأول هى الماده أى الهيولى والثانى هى الصورة، فلا تتكون صورة من غير ماده ولا تتشكل ماده من دون صورة، إن الواضع يؤيد الطرية هذه وينقض ما دوها.

٢ - الحكمة البالغة - للواضع نفسه، وقد أراد أن يجمع بين دقيه كل قسم من الفلسفة والمطلق والطبعيات وما بعد الطبعيات ولكنه بدأ به أيام علالتة الاخيرة فلم يتمكن من الفصول الستة أو الثمانية من الطبعيات إلا على كتابة فصلين منها وأما الفرعان المنطق وما بعد الطبعيات فبقيا من دون أن يباشر به العمل، وقد كتب الواضع شرحا لهذا الكتاب وسماه الشمس البازغة، وسنذكر عنه فيما بعد، والكتاب وشرحه المذكور يدرسان فى المدارس العربية فى طول بلاد الهند.

٣ - الجوهر الفرد - لملا محب الله البهارى وقد عرفاه فيما سق كواضع لكتاب مسلم الثبوت فى أصول الفقه، يبحث الواضع فى هذا الكتاب عن جزء لا يتجزى الموسوم كذلك بجوهر الفرد، وهو يماثل كتاب الدوحة المياده لملا محمود إلا أن التأخر يمتاز فى شئ من البسط لبحثه عن الصورة والماده ورسالة جوهر الفرد

لا تزيد على الكلام عن الجزء الذى لا يتجزى، فهناك أربعة مذاهب فى اقسام الجزء النهائى وعدم اقسامه. فالتكلمون، بالأكثرية منهم يتمسكون بأن الجسم يتركب من الأجزاء المحددة الموحدة فيها ما لا يتجزى حقا فعلا، ويقول أبو الفتح الشهرستانى صاحب الملل والحل خلاف ذلك وينكر وجود ما لا يتجزى فى الجسم فعلا ويعتقده قوة والطرية الثالثة أن الجسم يتركب من الأجزاء غير المحددة أى لا يقسم ويوحد فى الجسم بأجمعه فعلا وهذا ما ذهب إليه نظام الدين المعترى والمدف الرابع أن الجسم يتركب من الأجزاء غير المحددة بالفعل لا بالقوة وذاك ما تمسكت به أغلبية فلاسفة المسلمين واتخذوه كذلك بعض المتكلمين دوى برعات فلسفية.

و"كتاب كله إعادة ما أسلف به الكتاب من البراهين والشواهد ولم يأت الواضع شئ حديد غير أسلوب البيان وغير أنه جمع من الأدلة والأبحاث من حملة الإقلاء فى كتاب واحد وتراه شيطا، شديد الجد وراء نقض نظرية جوهر "لقد التى تمسك بها المتكلمون فأتى بعض براهين رياضية فى نقض هذه النظرية وإليك منها البعض لتعلم من نوعها.

(١) الخط المقسم بين قطعتين أو ثلاث قطعات سويا ويتضمن المقسوم على واحد أو ثلاثة أجزاء مما لا يتجرى فقسمته إلى النصف تجعل وسط الجزء ذا قسمة.

(٢) إن المربع وفق المدأ التاسع والثلاثين من أفليدس على وتر من مثلث قائم الزاوية يساوى مربعات الساحتين الباقيتين، فإذا كان الجزء الواحد طويلا بوحدة وعريضا بوحدة فيكرر الوتر من الوحدة الواحدة بشئ ويصغر من الوحدتين شئ ومعنى ذلك أن الجزء الواحد ينقسم أخرى.

(٣) إذا رسمت دائرة على الجزء الذى لا يتجزى فهى تمسه بالنواحي الأربعة

والباقي منها يحتاز الجزء منفصلا، ولا بأس بأن نذكر هنا بعض ما استدل به المعارضون فأقوى حججهم في ذلك أنه لو نخط خطا مستقيما ماسا بدائرة فالإتصال بينهما إنما يكون بنقطة هي الجزء النهائي من الدائرة أو من الخط ولا يمكن أن تنقسم النقطة كرة أخرى لأنها لا تسعه.

ولهم دليل آخر وهو إنك إذا قلت أن الجبل يتضمن أجزاء غير محددة مثل ما يتضمنها الحب الصغير فمن أين للجبل هذه الضخامة؟

وغريب جدا أن المتكلمين أكثرهم تمسكوا بطريقة جزء لا يتجزى ليدحضوا بها مبدأ خلود العالم وقد قال جلال الدين الدواني في شرحه على «العقائد» إن الاذعان إلى وجود هذه النظرية يقيقك شرك كثير من أبحاث إلحادية من الفلسفة ولكن العلماء المسلمين المتحمين نحو الفلسفة بالميل والافكار أمثال نغر الدين الرازي وأثير الدين الأهرى واصع كتاب هداية الحكمة وملا محمود الجون پورى ومحب الله البهارى الذى صنف كتابا على مبادئ القانون كل هؤلاء وهم مخلصون أوفياء للإسلام يذهبون مدها معاكسا للمتكلمين قاصدين نفس ما قصد المتكلمون.

٤ - الكتاب الرابع وهو الهدية السعيدية لواضع متأخر عبد الحق الخير آبادى ١٨٦١ - ١٢٧٨ وقد اشتهر بتضلعه في الفلسفة ودراستها، وأهدى هذا الكتاب إلى حاكم أماره رام پور محمد سعيد خان، وحيث أنه خير مثال لكتاب مدرسى وضع في الطبعيات المؤسسة على فلسفة أرسطاليس بالتام فلعل الاسباب فيه لا يكون في غير المحل.

بدأ الواضع كتابه بوصف الحكمة وذكر أنواعها فقال «إن الحكمة علم بأحوال الموحودات أعيانا كانت أو معقولات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية» ثم إن الحكمة لما كانت عبارة عن العلم بأحوال الموجودات والموجودات منها أمور وجودها بقدرتنا واختيارنا كأفعالنا وأعمالنا ومنها أمور

ليس وجودها بقدرتنا واختيارنا كالسما والارض كانت الحكمة على قسمين الاول علم بأحوال أمور ليس وجودها بقدرتنا واختيارنا كالعلم بالواجب سبحانه وصفاته والعلم بالسما والارض مثلا. والثاني علم بأحوال أمور وجودها بقدرتنا واختيارنا كالعلم بحس العدل وقبح الظلم. والقسم الاول يسمى حكمة نظرية والقسم الثاني يسمى حكمة عملية. فان كانت الحكمة الطرية علما بأحوال أمور تقتقر إلى الوجودين إلى المادة في الحكمة الطرية وإن كانت علما بأحوال أمور تقتقر إلى المادة في الوجود الخارجى دون الدهنى في الرياضية وإن كانت علما بأحوال أمور تقتقر إلى المادة في الوجودين في الحكمة الالهية وأما الحكمة العملية فيها أمور تتعلق بمصالح شخص واحد ليعلمها ويعملها لاصلاح معاشه ومعاذه ويتحلى بالمضائل ويتحلى عن الرذائل ومنها أمور تتعلق بمصالح جماعة مشتركة في المنزل كمثل ما يجب بين الوالد والمولود والمالك والمملوك ومنها أمور تتعلق بمصالح جماعة مشتركة في المدينة والملك كمثل ما يجب ما بين الرئيس والمرؤس والملك والرعية فان كانت الحكمة العملية علما بالقسم الاول سميت تهذيب الأخلاق، وإن كانت علما بالقسم الثانى سميت بتدبير المنزل وإن كانت علما بالقسم الثالث سميت بالسياسة المدنية.

فبارى أير المطلق وما هد موقفه من هذه العلوم ؟ فقد قال البعض أنه أحد أنواع الحكمة وقال البعض أنه آلة لكسب المعارف كاللغة .

والحكمة الضعية تقسم إلى ثمانية علوم، علم السمع الطيعى، علم السما والعالم، علم الكون والفساد، علم الفعل والافعال، علم كائنات الجو، علم النفس، علم النبات. علم الحيوان.

فالكتاب الهدية السعيدية يستوعب أبحاث الحكمة الطرية بكل فروعها ويتضمن على مقدمة وثلاثة أبواب سميت بالفنون، والمقدمة أتى فيها الواضع عن المسائل

النهائية في الفلسفة وما هي إلا الوجود الطبيعي بأوصافه، وليس البحث عن هذا الوجود إلا عبارة عن المناقشات والجدال حول مسألة جزء لا يتجزى، فالواضع يؤيد ناقضا نظرية جوهر الفرد.

فالغن الأول ينقسم إلى عدة مباحث تتضمن الكلام على الأوصاف المشتركة والعوارض الذاتية للأجسام والأجرام فن تلك الأوصاف:

(١) المكان — وهو عند البعض عبارة عن ما يشغله الجسم إمتداداً وبعداً وعند البعض هو السطح الباطن من الجسم المادى وهذا ما ذهب إليه الواضع، ويرى الواضع كذلك إمتناع خلو المكان.

(٢) الحيز — وهو أعم من المكان.

(٣) الصورة — وهى الهيئة الحاصلة للقدار من جهة التامى.

(٤) الحركة والسكون.

وقد وصفوا الحركة فقالوا إنها خروج من القوة إلى الفعل تدريجاً وتتعلق بها ستة أشياء، الشئ المتحرك، المسافة، المبدأ، المنتهى، والزمان.

وللحركة أربعة أطوار، المسافة، الشكل، الكمية، الكيفية، وهى كذلك على نوعين الحركة الذاتية والحركة العرضية ثم الحركة الذاتية على ثلاثة أقسام الحركة الطبيعية كهبوط الحجر، والحركة القسرية كالحجر المرمى إلى فوق، والحركة الارادية كحركات الحيوانات بالارادة وكل جسم لا بد فيه مبدأ ميل مستقيم أو مستدير، وهذا الميل يقاوم كل عائق فى سبيل الحركة وإن الجسم الذى لا ميل فيه بالقوة ولا بالفعل أى ليس فيه مبدأ ميل لا يمكن أن يتحرك بقسر قاسر.

(٥) ومن الأوصاف المشتركة بين الأجسام كلها الزمان وفيه مذاهب، فالواضع يؤيد ما ذهب إليه المشاؤون، والزمان عندهم كم متصل غير قار مقدار للحركة.

وفي الآن كذلك عدة مذاهب فالواضع يقول إنه النقطة المفروضة في منتصف الحد، فاصل بين نصفيه وليس قابلا للانقسام.

والفن الثاني يبحث عن الأجرام السماوية بفروعها العديدة المسماة بالفلكيات وهذا هو الفرع الثاني من العلم الطبيعي المعبر عنه بالسما والعالم، فالفلك هو جسم محدد للجهات كلها والممثل للجهة الأسمى التي لا جهة فوقها، وانه جسم بسيط غير مركب من أحسام مختلفة الطوائع كالموحدوات الأرضية، وانه قابل للحركة المستديرة وانه يتحرك على الاستدارة دائما حركة إرادية.

وللفلك هسان احدهما من مجردة من المادة وأخرهما نفس منطبعة في مادتها كما أن لنا قوتين إحدهما مجردة عن المادة مديرة للكليات والأخرى قوة مادية بها تدرك الحرثيات

الفن الثالث يبحث عن العصريات التي أبحاثها تتضمن الفروع الباقية من الحكمة الطبيعية فالفصل الأول في السائط العصرية وهي أربعة الحرارة والبرودة والرطوبة واليوسة. فلا بد لكل جسم عصري من اثنين من هذه الأربع إما الحرارة أو البرودة وهما من طوارث الفعل وإما الرطوبة أو اليوسة وهما من طوارث الانفعال، فهناك أربعة عناصر تمثل أربعة شئون بسيطة:

السا حارة وياسة	والهواء حار ورطب
والماء بارد ورطب	والأرض بارد وياسبة

والواضع يؤيد نظرية سكون الأرض ولا يعتقد بأنها متحركة كما ذهب إليه طائفة من فلاسفة المتقدمين وكما يعتقد به بعض حكماء الغرب في هذا العصر، واستشهد الواضع على ما تمسك به من البراهين منها دونك البعض لتعلم من نوعها.

(١) إن طبيعة الأرض تقتضى الحركة المستقيمة لا المستديرة فهي إذن إما

أن تبقى متحركة في جانب وذلك يستلزم أمرا باطلا وهو عدم تنامي الأبعاد والمسافات ولما أن تعود بعد وصولها إلى حد معلوم وهذا ينتهي إلى أن تقف الأرض قبل أن تتحول اتجاهها، والامساك عن الحركة من الوجود المحرك غير معقول .

(٢) والدليل الثاني وما عداه من الأدلة كلها من جنس واحد فكيفك منها ديلان واضحان :

إن الحجر المرمى إلى فوق كثيرا ما يقع هابطا على الموضع الذي رُمى منه على خط مستقيم، فلو كانت الأرض متحركة بالاستدارة لم يمكن ذلك، وهكذا الطائر الذي يطير نحو الغرب ليكن طيرانه أسرع من الطائر الذي يطير نحو الشرق إذا كانت الأرض متحركة نحو الغرب .

ثم يتكلم الواضع عن انحلال هذه العناصر الأربعة وتغييرها تحت عنوان المزاج وقد أطال الكلام في ختام البحث على تأثير العناصر وفعلها فيما بينها وعلى النظريات المتضاربة المتفرعة من فعلية الثلاثة المادة والصورة والكمية وهذه الأبحاث سميت بالفعل والانفعال ،

وأنتبع ذلك البحث عن كائنات الجو أى التقلبات الجوية أو قل الأحداث الجوية كالدخان والبخار والغيوم والمطر وسقطات البرد والثلج، والرعد ووميض البرق والشهب أو النيازك وقوس القزح والهالة والريح وما سواها، ليست في هذه الأبحاث ما يستحق الذكر اختصاصيا إلا أن الواضع تكلف وسعى من غير جدوى أن يعلل تنوع الألوان في قوس القزح، إنه أتى ببعض التعليقات ولكنها ما أضعفت ابن سينا الذي أبطلها واعترف بكل الصراحة أنه لا يعرف كيف يعلل عرائه منظره، ويا للعجب كيف يفسره أحد في زمن ما اكتشفوا فيه عن تحليل الشعاع الأبيض من النور إلى ألوان متنوعة .

وبعد ما انتهى عن ذكر أحداث الجو وتقلباته بدأ في علم المعادن وتحليل الأتربة المعدنية فقال إن المركبات المعدنية على قسمين منطوقة وغير منطوقة فالمنطوقة هي من المعادن كالذهب والفضة وغيرها وغير المنطوقة كالزجاج والكبريت وما دونه وهذه الأجساد تولد من الزئبق والكبريت باختلاطهما بالكميات المختلفة وقد ذكر الواضع قول ابن سينا في عدم إمكانية تحول الذهب والفضة فقال : إنه اختلف في أن تكون الذهب والفضة ممكن أم لا ؟ وعلى تقدير إمكانه واقع أم لا ؟ فذهب الشيخ إلى أنه لم يطر له إمكانه فضلا عن الوقوع واستدل عليه بأن الفصول الدائية التي تصيرها هذه الأحاسد أنواعا بمجولة.

ومهما كان الواضع لا يوافق المراجع الهائية في هذا الباب ويقول كفى بصنعة التزيان وما فيه من الخواص والآثار شاهدا على إمكان ذلك وذهب أكثر العقلاء إلى إمكانه بل وقوعه وهو الحق، نعم ! ولا كلام في ندرة وقوعه.

ثم بحث الواضع بعد ذلك عن السات ويصف مزايها وصفا مسهبا.

وعاد يذكر عن علم الحيوان فيقول واللمس الحيوانية قوتان أحدهما قوة مدركة والآخرى قوة محركة، والأولى إما طاهرة أو باطلة وكل منها خمسة مشاعر، والثانية تنصف بالعصية والشهوة والعصب.

وخاتما يذكر الواضع عن نفس الانسان قائلا إن الانسان وهو الحيوان المختص باللمس اللطيفة وهي كمال أول الجسم طبعي آلى من جهة ما تدرك الكليات والمجردات وتعمل الأفعال الفكرية ويستبسط بالرأى والرواية.

فيأتي الواضع بعدة نظريات في النفس ويؤيد ما تمسك به المحققون من أئمة علم الكلام وعظماء الاسلام : أنه جوهر مجرد ليس جسما ولا جسمانيا متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف لا تعلق الجزء بالكل ولا تعلق الحال بالحال وأنه

حادث باق بعد خراب البدن مدرك للكلبات والجزئيات — وهذه الأبحاث المتعلقة بالنفس هي التي ينتهي بنهايتها الكتاب .

(الشروح على الكتب الجوهرية من الفلسفة — ٦)

الكتب الموضوعة في خارج بلاد الهند — ٣

إن كتاب هداية الحكمة كتاب معروف في الفلسفة وهو كما ذكرنا للشيخ أثير الدين عمر الأبهري ١٢٦١ - ٦٦٠ وقد شرحه ملا حسين ابن معين الميبدى وصدر الدين محمد بن إبراهيم المعروف بصدر الشيرازي ١٤٢٤ - ٨٢٨ فعرف الناس الأول بالميبدى والثاني بالصدر ولكل هذين الشرحين منزلة جليلة ومكانة كريمة لدى العلماء في الهند وهما يدرسان في المدارس على وجه العموم، وكفى بهما قدرا أن وضع العلماء الحواشي والتعليقات فوقها وهذا العالم المتضلع عبد الحكيم السيالكوتى وضع حواشيه على الميبدى وعلق على صدرى ولى الله أحد من العلماء المتأخرين من لكتناؤ وكان من المعروفين في الكتابة في الفلسفة ومن المتممين إلى علماء فرنكي محل الذى تخرج منه كثير من العلماء وفرغوا، وهو توفى ١٨٥٣ - ١٢٧٠، وهذه الحواشي والتعليقات هي من أكر المساعدات للطلابين في أدق المباحث الفلسفية من أصل الكتاب .

وللكتاب شرح ثالث للعالم عبد الحق الخيرآبادى المذكور آنفا ولا نكتب عنه لتأخر عهده غير أنه يدرس في مدارس الهند عامة في قدم الفلسفة قبل صدرى وميبدى .

الكتب الموضوعة في الهند — ٣: الشمس البازغة وهو كما عرفت قبل الآن شرح ملا محمود جون پورى على كتابه الحكمة البالغة، فيبدأ الواضع بكلمة « قلت »، ويأتى بالمتن ويتبع كلمة « أقول »، ويشرح المتن، وإن هناك اثنان من

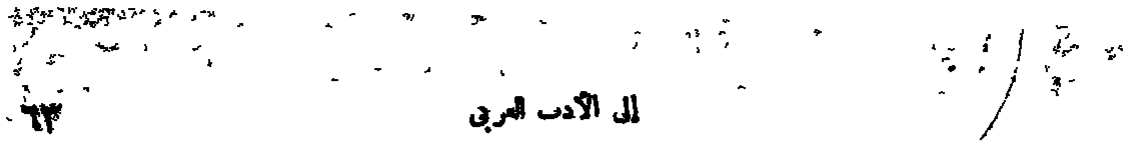
أجلة العلماء المتأخرين كتبنا شرحها على الشمس البازغة الأول حمد الله
١٧٤٧ - ١١٦٠ وهو الشارح الشهير لكتاب سلم العلوم لمحب الله البهاري والثاني
نظام الدين ١٧٤٨ - ١١٦١ من أكار علماء فرنكي محل وقد نال شرحه قبولا عاما
في الهند.

٣ - الكتب على المنطق

الكتب المدرسية - ٣

الدرة الهمية رسالة صغيرة للعالم البارع عد الحق المحدث الدهلوي وهي تبحث
عن أهم المسائل المنطقية وبداية البحث هي الأنواع الثلاثة من الدلالة، فدلالة
المطابقة كالحیوان العاقل للأساس ودلالة التضمن كالحیوان للانسان ودلالة
الالتزام كالعالم أو الهادي للسان، ثم يتكلم الواضع عن التعريفات التي تنتهي
إلى بحث الحس والفصل والوع ثم يأتي بالكلام على القضية وأقسامها الشرطية
والنظرية وتحويلها إلى التناقض والتعاكس، ثم يبين القياس والأشكال الأربعة
وقصارى الكلام أن هذه الرسالة الوحيدة تشتمل على المبادئ المنطقية الأساسية
بالتلخيص.

٢ - سلم العلوم - لمحب الله البهاري وهو الكتاب المدرسي الثاني من ناحية
التاريخ ولكنه الأول من حيث الجدارة والفضل، وقد اجتمعنا بواضعه مرارا
فيما سبق، وهذا الكتاب يشعل مركزا رفيعا في علم المنطق في الهند، ومن
الكتب الموصوعة في المنطق في خارج بلاد الهند كتابان نالا من السمعة وبعد
الصدت ما لم يبله أحد وهما الشمسية لجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف
بالقضي ١٢١٦ - ٦١٣ وتهذيب المنطق لسعد الدين التفتازاني ١٣٨٩ - ٧٩٢
فكلاهما بلعا من كثير من رجال العلم مبلغ الجذب والأفتتان حتى وضعوا لها
شروحا وفوقها الشروح وكتبوا الحواشي وعليها الحواشي، ولكن سلم العلوم الكتاب



الهندي كان على مستوى الطلبة المتقدمين فقرروا درس الكتاين المذكورين قبل القراءة في سلم العلوم، وترجى الواضع في المقدمة الوجيزة لكتابه أنه يلعب بين الكتب المدرسية ويشرق كما تشرق الشمس بين نجومه وأحسنى أنه فاز بما ترجى - افتتح كتابه بالحمد والصلوة كما اعتاد بها كتاب الشرق ولكنه حمد وأثنى بالكلمات المصطلحة المنوطة بالكلام العربي بكمال البراعة وغاية الاتقان كما ترى :

« سبحان ما عظم شانه لا يحمد ولا يتصور ولا ينتج ولا يتغير تعالى عن الجنس والجهات جعل الكليات والجزئيات الايمان به نعم التصديق والاعتصام به جذا التوفيق ».

وكفى بهذه الكتاب وشروحه خطورة وشأنا أن دراسة المنطق في الهند لا تعتبر كاملة إلا أن يقرأ المتعلم بالتقمام ويفرغ من الشروح جميعاً وزد على ذلك تقديراً بجلالة شان الكتاب أن من العلماء فوق اثني عشر من هم حسبوا كرامة وشرفاً لهم أن يكتبوا الشروح عليه وسندكر عن بعضهم عندما تتكلم عن الشروح على الكتب المدرسية في المطلق .

ومن أكبر مزايا سلم العلوم أنه مع كونه مثالا للأسلوب العربي في الكتب الدراسية في غاية الایجاز وما فاته ناحية من نواحي المسائل مهما بلغت ضنطة الایجاز فقد أتى الواضع فيه بكل اطراف المناقشات محلها المستقيم، وليس من الميسور الهين للطالب أن يفهم سلم العلوم إلا أن يكون على علم من المنطق يذكر وعلى معرفة تعتبر.

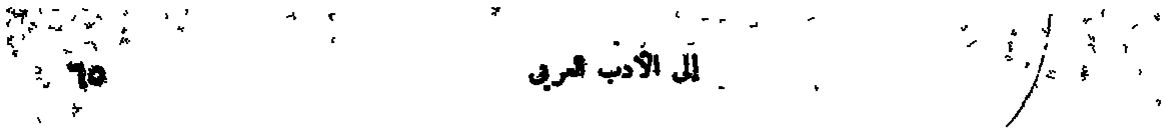
ولا تجده كالكتب المنطقية الأخرى موزعا على الأبواب ثم فصول الأبواب فقد بدأ الواضع بعد الحمد والصلوة بمقدمة تبحث من العلم بجزئيه التصورات والتصديقات، وعن موضوع علم المنطق، ثم الكتاب كله منقسم بين بحث صوريات وبحث التصديقات، والواضع أطال الكلام على التصديقات.

وبا للأسف فقد قرع الواضع في بحشه ذاك الباب المقروع من قبل من الاستقراء والاستنتاج فيقول إن استنتاج الكليات من الجزئيات ليس بقاطع ولكنه ينتهى إلى الغاية بالتقريب وبالأغلب، فيأتى في المثل بما أتى به كل المنطقة من المسلمين فيقول كل حيوان يتحرك فكه الأسفل عند مضغ الطعام، فالناس والعرس والقرعة تفعل كذلك، فهذا الاستقراء لا يمكن أن يكون قاطعا في بابه فمسي أن تجد في ذلك خلافا واستثناء وتقول إن التماسح لا يفعل كذلك، فالواضع يحالف السيد شريف الجرجاني بقوله إن الاحصاء ممكن وإنه أتى في بحثه عن الاستقراء بمعارضة عربية وهى أن بيتا تسكه ثلاثة أنهار فاثان منهم مسلمان والثالث غير مسلم فان حدث لك أن رأيت مهم اثنين معا وأنت لا تعرفهم ديانة فاستقرأت أنهما مسلمان على الأكثرية والمفرد نفسه غير مسلم فهذا لا يتج حقاً فقد يكون أن يجتمع المسلم بغير المسلم.

٣ - المرقاة وهو الكتاب الثالث من الكتب المنطقية الموضوعة في الهند، وضعه فصل إمام العالم الحليل الدي عرفاه فيما سبق ولا يكاد الكتاب أن يكون وصفاً فكل ما فيه مأخوذ من «الشمسية» و«تهذيب المنطق» وقد شرح المرقاة حميد الواضع عد الحق الخير آبادى.

﴿ الشروح على الكتب المنطقية - ١٠ ﴾ المؤلفات الخارجية

فالأول منها الذى يستحق الذكر كتاب بديع الميزان وضعه عبد الله تلمبى وقد عرفاه كأول المشتغل المجار في دراسة الفلسفة في الهند شرحا على رسالة ميزان المطق والمزية الكبرى لهذا الشرح أنه الكتاب الأول في الهند في الفلسفة أو المنطق وقد كتب فضل إمام الخير آبادى شرحا فوقه وسماه تشييد الأذهان.



قدمنا إليكم من الكتب الدراسية بكتابين معروفين وضعنا خارج بلاد الهند، أحدهما الشمسية للقبطي ١٢٩٣-٦٩٣ والآخر تهذيب المنطق للتفتازاني ١٣٨٩-٧٩٢ فالأول شرحه قطب الدين محمود بن محمد ١٣٦٤-٧٦٦ ثم شرحه السيد شريف الجرجاني ١٤١٥-٨١٨ فالأول عرفه الناس بالقبطي والثاني بمير قطني، وقد وضع قطب الدين كذلك كتابا درسيا سماه الرسالة في التصور والتصديق، ولتهذيب المنطق شرحان آخران من عالين عبد الله اليزدي وجلال الدين الدواني.

وبعد ما تكلمنا عن المؤلفات الثلاثة التي وضعت خارج بلاد الهند نعود إلى شروحها المكتوبة في الهند، فقد كتب عبد الحكيم السيالكوتي حواشيه على مير قطني وهي الأبحاث العلمية التي تتضمن كل نواحي الخلافة من المسائل المطقية، وكتب عبد النبي الأحمد آبادي ١٧٣١-١١٤٤ الحواشي والتعليقات على شرح اليزدي (تهذيب المنطق) وكتب مير زاهد المذكور فيما سبق على شرح جلال الدين الدواني (تهذيب المنطق) الحواشي المعروفة بالحاشية الزاهدية الجلالية، ومنزلة هذه الحواشي والتعليقات رفيعة معتبرة عند أهل الهند من علماء اللغة العربية، فقد كتب كثير من علماء الجيل التابع كذلك على حواشي مير زاهد حواش أخرى فوقها.

وكذلك مير زاهد نفسه وضع الحواشي على رسالة التصور والتصديق لقطب الدين وسماها الحاشية الزاهدية القبطية، ونالت هذه الحواشي من الطالبين والعلماء في المنطق قبولا وشيوعا حتى تعددت لها الطبعات والنشرات في زى الملحوظات، وهاتان المجموعتان من حواشي مير زاهد بنفسها كالكتب المدرسية تقاضان الايضاح والبسط من جديد لتعليل ما تحملان من المسائل الدقيقة والأبحاث المتلوية العويصة المختصة لمن لهم درك بالغ في المنطق وحظ وافر، ويستحق الذكر من كثير من الحواشي على الحاشية القبطية ما كتبه غلام يحيى البهاري المتوفى ١٧١٥-١١٢٨. وقد كتب الشارحون والعلماء من الأجيال المتأخرة في أدوارهم

على هذه الشروح شروحا وتعليقات من عديم.

(المؤلفات الموضوعة في بلاد الهند - ٤)

فضلا على شرح المرقاة المذكور، هناك بضعة شروح لعدة علماء على كتاب
سلم العلوم وفيما يلي بعض ما عم درسه في الهند.

١ - الشرح المعروف بحمد الله لكاتبه حمد الله السنديلوي ١٧٤٧ - ١١٦٠.

٢ - الشرح المعروف بقاضي مبارك لكاتبه قاضي مبارك من گوپامتو
١٧٤٨ - ١١٦٢ ويدرس من حمد الله إلى التصديقات بحث ومن قاضي مبارك إلى
بحث التصورات.

٣ - الشرح المعروف بملا حسن لكاتبه ملا حسن بن غلام مصطفى

١٧٨٣ - ١١٩٨.

٤ - مرأة الشروح لكاتبه ملا مين ١٨١٠ - ١٢٢٥.

هذه الشروح كلها ولا سيما حمد الله وقاضي مبارك بالغة من العلماء مبلغ
الاعتبار وقد كتب بعضهم عليها الحواشي والشروح.



ثقافة الهند

يصدرها مجلس الهند للروابط الثقافية

المجلد الخامس يونيو سنة ١٩٥٤ العدد الثاني

محتويات هذا العدد

صفحة

٢

الدكتور ربيد أحمد

١ إلى الأدب العربي



الموضوع

إلى الادب العربى

للدكتور زيد احمد

ـ كك الرياضى والحوم والطب ﴿

نما أن نصيب الهد فى الأدب العربى من ناحية علم الرياضى وعلم النجوم وعلم
الطب عبر موهور . أرى أن أذكر عه هاك فى فصل واحد على وجه الأجمال .
وقد ذكر عن الموضوع ما كان تصل بأيام قل أيام الحكم الغزوى قل ذلك فى فاتحة
الكتاب . وهذا ما يعلى به نالهد المتأخر .

ـ علم رياضى ﴿

قلما انتى العلماء من المسلمين بعلم الرياضى بعد ما ولت عهم أيامهم الذهبية
الانحاث الملية والنشاط الفكرى للفحص والتقيسات ، فلم يكتبوا حتى الحواشى كما
فعلوا فى العلوم الأخرى فصلا أن يصعوا فيه المولات . وإذا كانت الاقطار
"ناطقة بالصاد واللدان المحاورة لها . لم تسجل فى ذلك إكتابات تذكر لها .
فأين الهند وأنى يرحى منها وصع كتب فى الرياضى تعتبر ابتكارا أو إبداعا ،
والحال أنها متأخرة عن البلاد الأخرى فى كتابة الأسفار العربية ووضعها . ولكن
من ما ترفع بلاد الفرس رأسها خراً بأنها أبجحت فى أيامها المتأخرة بعض النالعين
أقصى درجات السمعة فى الراعة والاتقان فى الرياضى ك بهاء الدين محمد ابن الحسين
العاملى ١٦٢١ - ١٠٣١ . فللهد كذاك أن تباهى بكونها موطا لبعض المتضلعين
فى الرياضى ك عصمة الله بن عظمة الله السهارنپورى بعد سنة ١٧٧٩ - ١٠٩٠ .
ولطف الله المتخلص بالمهندس ابن الاستاذ احمد المعمار وولده امام الدين .

فالكاتب «خلاصة الحساب» لواقعه بهاء الدين العاملي، عمل قيم في علم الحساب. وكفى تقديرا بمنزلة أن عديدا من رجال العلم وضعوا عليه شروحا في البلاد العربية وكذلك في الفارس، ثم كتبوا فوق ما شرحوا شروحا. وقد رتبته الأستاذ «نسلمن» وهذبه، ونقله الأستاذ «استدمار» إلى اللغة الفرنسية. وأول من شرح «خلاصة الحساب» شرحا جامعا مستوعبا هو العالم الرياضي الهندي الشهير عصمة الله وحيد عصره في فنه، وسماه «أنوار خلاصة الحساب»، قد أتى فيه بما يثبت كفاءة الواضع وألمعيته في علم الحساب. وكان الواضع والشارح معاصرين، عاشا في دور واحد من الزمان وتوفيا فيما بين ستين عاما.

بدأ عصمة الله شرحه بمقدمة وجيزة، يذكر فيها ما لعلم الحساب من شأن وخطورة ويكتب عن إعجابه بكتاب خلاصة الحساب.

وقد أطلال الكلام عند البحث في تعريف علم الرياضى وتسميته. فقال: سموه الرياضى لأنه يروض العقل ويدرب الفكر، وقد فضله القدماء من الفلاسفة على بقية العلوم حتى المنطق. ثم يتكلم عن الرقوم أى الأعداد، قائلا بأنها موضوع علم الحساب، سواء اتصلت بغاية أم لم تتصل. ويستشهد على ذلك بما قال به أبو علي السينا: «إن عالم الرياضى يعنى بمجرد الرقوم من غير اتصالها بشئ». فالشارح ينتقد على هذا الفكر ويقول إن الرقوم بمجرد لها ليست أن تكون موضوعا لهذا العلم.

إنه يرى أن تعريف العدد بتطبيق وحدة أو مركب من الواحدات تعريف ناقص، لأنه لا يشمل الكسر ولا يجمع الجزء من الصحيح وعليه. فالتعريف الجامع للعدد أنه كمية يمكن انطباقها على واحد وعلى الكسر، والضرب الحسابى من الواحد.

ومن الغرابة أن الأعداد مع شدة اتصالها بالرياضى، ندر استعمالها

في أصل الكتاب وشرحه. والشارح عند ما بدأ بشرح النوادر والطرائف من الأحاديث من أصل الكتاب، تعرض لبعض الروايات الوجيزة من عنده. ففي الكتاب أن الخليفة الرابع عليا سُئل يوما عن أقل الأعداد قياسا من الواحد إلى التسع، فأجاب كرم الله وجهه هو السبع، ضاربا بأيام الأسبوع ٧ بأيام السنة ٣٦٠. فتعادل ٢٥٢٠. فأضاف الشارح على ذلك ثلاث روايات تتصل كلها بعلی وحدائقه في الرياضی. يذكر منها هنا واحدة ولعلها لا تكون في غير المحل. وهي أن عليا كرم الله وجهه كان يوما من الأيام على وشك الخروج من البيت إذ دخلت عليه امرأة تشكو طلما، حيث أعطيت واحدا من ستمائة دينار ركة أحوها من ورائه. وأحاسها على علي فوره «فلعل أحاسها ترك ما عداها راحة له ووالديه وبنين واثني عشر أخا». فقالت «الامر كما زعمت». فقال كرم الله وجهه «إذن أصدت نصيبك من الأثر عدلا».

فإذا كان هذه الروايات حقا وحقيقة فلا شك أنها تزهن ألمعية على في الحساب ومقدرته فيه فوق العادة. ولكن عسى من يقول أن هذه العمليات والاحصاءات إنما قام بها أحد من المدرسين المواطنين من عند نفسه ثم أسدها إليه ليثبت لصهر النسي من راحة في الرياضی واتقان.

وهذا السرح جامع واضح يطق عن التضلع للواضع في الرياضی، يفسر العبارات المتعلقة من الكتاب ويعمل المسائل المعقدة أكمل تعليل.

وللكتاب شرح آخر وحير من لطف الله المهدس بن الاستاد أحمد، ولابنه إمام الدين الحواشي على شرح أبيه. وقد نقل لطف الله كتاب خلاصة الحساب إلى اللغة الفارسية كذلك. وهذه المؤلفات كلها راجعها «روشن علي» عند ما نقل هو «خلاصة الحساب» مرة أخرى إلى الفارسية، وزاد عليه ملاحظات تعليلية أيام ١٨١٢.

١ - يقول الدكتور بلسم - الذي رتب كتاب خلاصة الحساب ونقحه - إنه لم يجد شرحا راجعه روشن علي ولكن الدكتور قال ذلك قبل طاعة قائمة المتحف البريطاني وقائمة مكتبة «الديار آس».

ولعل لا يخلو من المناسبة ذكر أن لطف الله ووالده الاستاذ أحمد المهندس وأخاه عطاء الله وابنه إمام الدين كل هؤلاء كانوا علماء رياضيين بالغين درجة الاعتبار والقبول من الناس ، وقد وضع عطاء الله رسالة في علم الحساب منظومة ، وفي مساحة السطوح وفي الجبر . وهذا لطف الله الذي شرح كتاب خلاصة الحساب ونقله إلى اللغة الفارسية قد وضع كتباً أخرى في علم الحساب ، ولكنها كلها في الفارسية .

﴿ كتب علم الحجوم ﴾

هاك كتابان في علم النجوم ، يدرسان على وجه العموم في المدارس العربية . فالأول هو المخلص في الهيئة البسيطة لمحمود بن محمد الجعفي الخوارزمي المعروف ببين الناس بـ « جعفي » ، والثاني تشریح الافلاك لهاء الدين العاملي صاحب كتاب خلاصة الحساب . وقد شرح موسى بن محمود القاضي الراهد كتاب جعفي يعرفه الناس بشرح جعفي .

وهذا امام الدين بن لطف الله المذكور آها كتب شرحاً فوق شرح جعفي ، وكذلك شرح كتاب تشریح الافلاك لهاء الدين العاملي . وسمى شرحه « التصريح » ، وأورد في شرحه بعض المسائل من علم النجوم الهندي . وهي جديدة في علم الحجوم العربي ، ومنها ما يسمونه الدائرة الهندية في علم النجوم ، وهي تستعمل لتقدير اتصاف النهار . ولهذين الشرحين منزلة جليلة في دراسة علم النجوم في الهند .

ولعل من أكبر مساهمات الهند وأجلها ، من ناحية علم الرياض وعلم الججوم بعد الحكم الغزنوي ، كتاب المقائيس الذي نقله معتمد خان رستم بن ديانت خان كيواد الحارثي ، من كتاب سلاويس في صناعة الساعات الشمسية ، المطبوع في أوروبا في ١٥٨١ ، إلى اللغة العربية . وفي مكتبة انديا آفس نسخة خطية من كتاب المقائيس ، يقول عنها ابن معتمد خان إنها مسودة أيه . والحال أن النسخة مكتوبة

بالخط النظيف الواضح بكل اتقان، وهو كتاب ضخم يستغرق ٢٧ صفحة في ٢٢ سطراً على كل صفحة. وفي المتحف البريطاني قطعة وجيزة منه (Cat. Bri. Nis 443). ولا توجد للكتاب نسخة أخرى لا في الهند ولا خارج بلاد الهند، كما تشهد بذلك مزارع المكتبات بأجمعها.

ممتد خان رسم الذي كان يتمتع باشتغاله مركزاً سامياً أيام السلطان أورنگزيب كان ولوعاً بالعلم شغفوا بالكتب. فكم من الكتب الخطية ما زالت في متحف البريطاني تنطق بلوحها المكتوب عليها أنه كتبه يراعه لنفسه أو لانه، وذكر اسم المحل الذي فرغ فيه عن التصحيح. فيها كتاب النور السافر رقم ١٦٦٤٨ وكتاب الكواكب السيارة رقم ١٦٦٤٧. وقد كتب مسٹر جاس على هامش هذين المخطوطين أن المترجم ارتحل إلى برتگیز وهناك انجز عمل النقل. وعلى الدين يهمهم هذا العلم أن يدرسوا هذا الكتاب الجدير بكل اعتناء.

(كتاب علم الطب)

ساهمت الهد في هذا القسم من الأدب العربي مساهمة الشرح والايضاح ومساهمة الوضع والانشاء. فمن الناحية الأولى قدمت سبعة كتب تدعونا إلى الاعجاب.

والأول هو كتاب القانون الذي وضعه أبو علي السينا. وهو كتاب في اللغة العربية قيم في علم الأدوية كدائرة المعارف الأدوية. وقد شرحه كثير من العلماء. ثلثه منهم من أساء الهد، ومن هؤلاء الثلاثة حكيم علي جيلاني ١٦٠٨ - ١٠١٧، وكان طبيباً في البلاط الملكي عند السلطان أكبر، وقد فاق على أقرانه في علم الطب والرياضي فصلاً وراعة، وكان محباً لدى الناس لأجل تداويه المدهش وقد أنعم السلطان عليه برتبة ٧٠٠ ولقبه بـ «جالينوس الزمان» تقديراً بكتاباته وحذاقته. وفي العام التاسع والثلاثين من أيام السلطان أكبر بنى حكيم جيلاني

خزان الماء الشهير، وجعل من داخل الماء ممرا إلى غرفة صغيرة لاتزال أبوابها مفتوحة ولا يغيرها الماء أبدا. فعندما اكتمل البناء واتهى، أتاه السلطان ليراه. فانظ في الماء ووصل إلى الغرفة وهي كانت مؤتة بالادوات اللازمة، مزينة بأحسن أثاث، فكث هاك غير بعيد. وقد قلق أعيانه بما شاهدوا خارج الخزان ولكنهم فرحوا حينما عاينوا السلطان قد رجع سالما مرتاحا ما مسه من مكروه. وكما يقول التاريخ زار هذا الخزان الملك جهانكير كذلك في ١٦٠٨ ودق النظر في الغرفة، فأكبر بانيتها وصنعتة وجعل رتبته من سماءة إلى ألين'.

وإذا كان ما وصفه الملك جهانكير هذا الخزان في «توزكه»، وعد الزواق في كتابه مآثر الأمراء على وجه الحقيقة فليس للره إلا أن يعترف بعقوبة الباني. وأما شرحه مبسوط من نوعه، ومن حيث المرجع يعد متأخرا عن شرح القرشي.

والثاني من شروح القانون هو كتاب غايات الفهوم في تدير المحموم، لكاتبه الحق حان ابن اسماعيل خان الدهلوى، وكان طيب القرن الثاني عشر من الهجرة من أبناء الهد، وشرحه مقصور إلى بحث الحمى. وفي قائمة مكتة بانكى پور عه ما يأتى.

قال الكاتب في مقدمة كتابه إنه أراد البحث عن تشخيص الأمراض وعن أخرج الأيام والمواقف في الحيات ومعالجتها، فراح شرح القرشى للقانون في سبيل غايته فوجده يتضمن تعليقات نافعة إلا أنه أكثر من انتقادات عقيمة على أبى سينا. فرأى مراجعة شرح الجيلانى الذى وجده يرد عن الانتقادات العدائية من القرشى ويفصل النواحي العملية من الكتاب تفصيلا جعل الشرح أصح من المتداول المعمول به على وجه العموم. فالكتاب غايات الفهوم كما يقول كاتبه مختصر من مطول الجيلانى، كالمقدمة لدائرة المعارف الجيلانية، انتفاعا.

والشرح الثالث للقانون شرح كليات القانون، لشارحه حكيم شفاقي خان ابن حكيم عد الشافي خان مسيح الملك، وكان طبيباً ماجحاً أيام آصف الدولة في إقليم أوده ١٢١٢ - ١١٨٨. واقترب سعادته على خان بعد موت آصف الدولة ١٢٢٩ - ١٢١٢.

وماعدا كتاب القانون هناك كتابان في الطب، شغف بهما العلماء والأطباء. فقد كتبوا عليهما الحواشي والتعليقات، أحدهما النفيسي لبرهان الدين العيس العوص الكرماني، وهو شرح كتاب موحز لعلاء الدين علي بن الحزم القرشي المتوفى ١٢٧٩ - ٦٧٨. وقد أجمله من كتاب القانون. والثاني هو شرح كتاب الأسباب والعلامات لجيب الدين أبي الحامد بن علي السمرقندي.

وقد كتب حكيم أعاجيب بن معالج خان الطبيب الهندي في القرن الثاني عشر من الهجره شرحاً على كتاب النفيسي. وكذلك شرحه حكيم شريف خان الدهلوي الذي كان طبيباً فارسياً، استوطن الهند، ثم ذاعت صيته حتى نافس حكيم علوي حان معالج محمد شاه في السمعة وفي المعالجة الباجحة وفي العلم باللغة العربية.

ومن الحواشي على شرح الأسباب والعلامات حاشيتان جديدتان بالذكر، فالأولى كتبت الاشكالات لمحمد هاشم بن حكيم محمد أحسن بن محمد اهل. الذي قرأ الرياض والطب على حكيم علي الجيلاني والذي وكل السلطان شاهجهان أمر تاديب اورنگزيب إليه. والحاشية الثانية هي الفوائد الشريفة، لمحمد شريف خان المذكور آنفاً.

وأما مساهمة الهند بالوضع والتصنيف فهناك أربعة كتب جديدة بالذكر.

١ - الجزء العملي من اكمل الصناعة، وضعه حكيم كاظمي ابن المجتهد الشيعي

حيدر علي النحفي الملقب بجاذق الملك والطبيب الشهير في ١٧٣٦ - ١١٤٩.

الكتاب موزع على مقدمة تبحث عن العلامات المضرة المهلكة؛ وعلى سبع مقالات تتضمن علامات محلية ومعالجة الأمراض على وجه العموم؛ وعلى خاتمة نشرح أوزان الأدوية ومقاديرها. ويقول كشف الحجب والاستار عن هذا لكتاب باسم جامع الصنائع ولعل ذلك غير صحيح^١.

٢ - كتاب «أسرار العلاج» لحكيم على شريف من لكتناؤ. وقد منحه عازى الدين حيدر لقب رئيس الأطباء. وكفاك جلالة كتاب أسرار العلاج ما كتب عليه واضع قائمة مكتبة بانكى پور من ملاحظته: «الكتاب كله يمثل من الواضع كفاءته النادرة فى النظر الدقيق والفحص المتكرر تمثيلا لا نراه لغيره من كتاب الشرق عامة، وكتابه يصور عمليات التشخيص وأساليب التفكير وراء الفحص الطبى تصويراً مدهشاً يستغربه أطباء القرن الثانى والثالث من الهجيرة».

٣ - «حلية الواصفين ووشاح الطالبين» لمحمد مهدى ابن على أصغر بن نور محمد خان، رئيس الوزراء عند ناصر الدين حيدر ملك أوده، وكان المعروف بين الناس بعلى شريف خان المذكور آها.

٤ - «قربادين علوى خان» لمعتمد الملوك حكيم محمد هاشم ابن حكيم محمد هادى المعروف بـ «علوى خان». وهو الطبيب البارع الشهير بين البلاط المغولى منذ أيام أورنگ زيب إلى محمد شاه. وقد ذهب به نادر شاه إلى عاصمته ولكنه سمح له بعد فترة من الزمن أن يعود إلى دهلى، توفى هناك سنة ١٧٤٩. ويقول واضع قائمة مكتبة بانكى پور عن هذا القربادين «إنه يكشف من ناحية عن قوة الإدراك الدقيق لصاحبه ومن ناحية أخرى يمثل أطباء الهند بمدكراتهم القيمة فى دقة النظر وبمداولاتهم أساليب الفحص والتوفيق». ويظهر مما قدما من وصف وحيز للؤلؤفات الطبية الهندية أن أطباء الهند لم يكونوا شارحين ولا كاتبي الحواشى

١ - المر قائمة مكتبة بانكى پور رقم ٨٤ مجلد ١٧.

فحسب ولكنهم اختبروا، وفحصوا، ثم سجلوا بتنقياتهم في مثل قرابادين علوى
خان وأمثاله، ومهم واضح قائمة بانكى پور نفسه متضلع في العربية بارع في الطب
بالغ مستوى الاعتبار. ولقد أصاب الاستاذ دُن شُن روز إذ قال «إن أطباء
الهند قد جاهدوا في توفيق طرق التداوى القديم حسب ما اقتضت الأحوال
والظروف وطالبت به الحاجيات».

